الاختيار

في القراءات القرآنية

وموقف الهذلي ت ٤٦٥هـ منه

تأليف / خادم القرآن والتجويد

الدكتور / نصر سعيد

عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم

للقراءات وعلومها بطنطا

الناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

[القمر: ١٧]

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠]

إهداء

إلى قرة عيني، وثمرة فؤادي.

بُنَيَّتِي (منَّة) التي أشرق فجرها.

بمولدها السعيد، فكان هذا الكتاب الجديد.

والدكِ

الاختيار

في القراءات القرآنية

وموقف الهذلي ت ٤٦٥ هـ منه

كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا
حقوق الطبع محفوظة

للناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

طنطا ـ شارع المديرية ـ أمام محطة بنزين التعاون
ص.ب: 477
تليفاكس: 3331587 ـ 3338409
محمول: 0123780573

1427 هـ - 2006م

www.dsahaba.com
darelsahaba@hotmail.com

(بطاقة فهرسة) فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية
سعيد، نصر الإختيار فى القراءات القرآنية وموقف الهذلى منه / تاليف نصر سعيد
طنطا - دار الصحابة للتراث، ٢٠٠٦
١٣٦ ص، ١٧X٢٤ سم
تدمك ٥٠٣٧-٢٧٢-٩٧٧ ١- القرآن، القراءات أ- العنوان ٢٢٨

رقم الإيداع
2006/9689

الترقيم الدولي
977-272-503-7

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم بِعَجْزِ خَلْقِه عن كُنْهِ حمده، فحمد نفسه بنفسه في الأزل، قبل أنْ يخلق من يحْمَدُه، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ حمدًا لك يا من اخترتْ لنا الإسلام دينًا، وهديتنا إليه صراطًا مستقيمًا، والصلاة والسلام علىٰ خير الخلق، وحبيب الحق سيدنا محمد النبي المختار، الذي أنزل الله عليه قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝﴾ فرتَّلَ القرآنَ بأَعذب تلاوة، وأفصح لسان ورضي الله تبارك وتعالىٰ عن الصحابة الأخيار، والتابعين الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين!... وبعد:

فموضوع الاختيار في القراءات القرآنية - موضوع جدّ عظيم، لتعلقهِ الشديد بالقرآن الكريم من حيث نزوله علىٰ سبعة أحرف، واختلاف العلماء في هذا المجال، ثم ما ينتاب هذا الموضوع من الغموض، مما أَدَّىٰ إلىٰ التباس مصطلح (الاختيار) بغيره أحيانًا، وإنكاره أحيانًا أخرىٰ. فوجدت لزامًا علي أَنْ أوضح حقيقته ومعناه ونشأته وما يتعلق به.

ولقد كانت لي سَبْحَةٌ طويلة في اختيارات أبي القاسم الهذلي (المتوفىٰ سنة ٤٦٥ هـ) من خلال كتابه الكامل في القراءات الخمسين، حيث كان موضوع رسالتي للعالمية (الدكتوراه)[1].

وهذا بحث مستل منها جعلت عنوانه:

(الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي (ت ٤٦٥ هـ) منه)

أعرضه بهادته الأولىٰ. بعد مراجعتها مرَّة أخرىٰ، وإضافة بعض التوضيحات، وحَذف وتغيير بعض العبارات، حتىٰ يتسنىٰ لنا نشره علىٰ الباحثين والقراء.

---

(١) تمت مناقشتها في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر، ومنح الباحث درجة العالمية (الدكتوراه) مع مرتبة الشرف الأولىٰ.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في عشرة فصول مسبوقة بمقدمة، ومشفوعة بخاتمة.

أَمَّا المقدمة ففيها أَهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره.

وأَمَّا الفصل الأول فبعنوان: معنىٰ الاختيار في باب القراءة.

وأَمَّا الفصل الثاني فبعنوان: نشأة الاختيار.

وأَمَّا الفصل الثالث فبعنوان: شروط الاختيار.

وأَمَّا الفصل الرابع فبعنوان: أبو القاسم الهذلي - حياته ونشأته.

وأَمَّا الفصل الخامس فبعنوان: كتاب الكامل موضوعه وأهميته ومصادره ومنهجه.

وأَمَّا الفصل السادس فبعنوان: معايير الهذلي في اختيار القراءات.

وأَمَّا الفصل السابع فبعنوان: قبيلة هذيل وعلاقتها بأبي القاسم.

وأَمَّا الفصل الثامن فبعنوان: بعض الظواهر الصوتية لهذيل وقياسها علىٰ اختيارات الهذلي.

وأَمَّا الفصل التاسع فبعنوان: موازنة بين اختيارات أبي عبيد وأبي حاتم والهذلي.

وأَمَّا الفصل العاشر فبعنوان: اختيارات الهذلي في الميزان.

وأَمَّا الخاتمة ففيها أهم نتائج البحث وبعض المقترحات.

وصنعت فهرسًا للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات حتىٰ تتم الفائدة.

وبعد فهذا بحث شيق شائك، فيه جهد، فإن كنت قد أصبت فهذا توفيق الله، وإن كان فيه خطأ أو سهو أو نسيان فمني. لأني إنسان، وإن أوَّل ناس أولُ الناس ولا أنسىٰ أن أشكر كل من أسهم في إخراج هذا البحث إلىٰ حيز النور وأخص بالذكر الأخ الكريم الأستاذ/ إبراهيم الشناوي - صاحب دار الصحابة للتراث بطنطا فقد بذل جهدًا مشكورًا في طباعة هذا البحث وإخراجه في هذا الثوب القشيب فجزاه الله خير الجزاء.

خادم القرآن والتجويد

دكتور/ نصر سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

معنى الاختيار في باب القراءة

إذا أردنا أن نعرف معنىٰ الاختيار في القراءة فإنه يلزم -أولاً- أن نعرف معناه في اللغة، وإلىٰ أي مدىٰ كان علماء القراءات بالغي الدقةِ عندما اصطلحوا علىٰ هذا اللفظ.

مادة (خ. ي. ر) في القرآن الكريم:

وردت هذه المادة في القرآن الكريم ستًا وتسعين ومائة مرة (١٩٦) بصيغ مختلفة.

فوردت بصيغة الماضي من الافتعال (اختار) في قوله تعالىٰ:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾[١] و(اخْتَرْتُكَ) في قوله تعالىٰ:

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾[٢] و(اخترناهم) في قوله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٢﴾[٣] وبصيغة المضارع من الافتعال أيضًا (يَخْتَارُ) في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٤] و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ يعني: تتخيرون في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨﴾[٥] و﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ في قوله تعالىٰ:

﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾[٦] ووردت بلفظ «خير» كثيرًا[٧] مثل قوله تعالىٰ:

---

(١) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف.
(٢) الآية ١٣ من سورة طه.
(٣) الآية ٣٣ من سورة الدخان.
(٤) من الآية ٨٦ من سورة القصص.
(٥) الآية ٨٣ من سورة القلم.
(٦) الآية ٣٠ من سورة الواقعة.
(٧) ورد لفظ «خير» مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا في ستة وسبعين ومائة موضع، ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة (خ ي ر) ص٩٤٢، دار الجيل بيروت، من دون تاريخ.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[١] وبلفظ (الأخيار) في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧﴾[٢] وقوله أيضًا: ﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾[٣].

وبجمع المؤنث السالم في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٤] وبلفظ الخِيَرَة في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[٥] وقوله أيضًا:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٦]

وقد ذكر المفسرون معنىٰ الاختيار المذكور في هذه الآيات القرآنية:

ومن ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ حيث قال:

«اختار: «افتعل» من الخير وهو التخير والانتقاء و(اختار) من الأفعال التي تعدت إلىٰ اثنين، أحدهما بنفسه والآخر بوساطة حرف الجر، وهي مقصورة علىٰ السماع وهي «اختار» واستغفر و«أمر» و«كنّي» و«دعا» و«زوج» و«صدق» ثم بحذف حرف الجر ويتعدىٰ إليه الفعل فيقول: «اخترت زيدًا من الرجال»: «واخترت زيدًا الرجال»، قال الشاعر:

---

(١) من الآية ١٦ من سورة البقرة. (٢) الآية ٧٤ من سورة ص.

(٣) من الآية ٨٤ من سورة ص.

(٤) من الآيتين ١٤٨ من سورة البقرة، ٨٤ من سورة المائدة وقد ورد لفظ الخيرات في القرآن عشر مرات، ينظر: المعجم المفهرس ص١٥٢، وكلها معرفة إلا موضعًا واحدًا في سورة الرحمن: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ الآية ٧٠ جمع (خيرة) وَصْف بُني علىٰ فَعْلة من الخير، كما بنوا من الشر فقالوا أشرة، وقيل: مخفف من خيِّرة، وبه قرأ بكر بن حبيرب، وأبو عثمان النهدي وابن مقسم، أي: يشد الياء، وروىٰ عن أبي عمرو بفتح الياء (خيَران) كأنه جَمع (خايرة) جُمع علىٰ (فَعَلة). ينظر: معاني الفراء ٣/ ١٢٠، المحرر الوجيز ١٤/ ٢١٨، البحر المحيط ٨/ ١٩٧، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية ط/ الأولىٰ ١٩٩٣.

(٥) من الآية ٦٨ من سورة القصص. (٦) من الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

اخترتُـك النَّـاس إذْ رَثَّـتْ خلائِقُهـمْ

واعْتَلَّ مَن كان يُرجىٰ عنـدَه السُولُ[١]

أي: اخترتك من الناس، وسبعين هـو المفعـول الأول و(قومَـه) هـو المفعـول الثاني، وتقديره من قومه»[٢].

قال الفراء[٣]: التفسير أنه اختار منهم سـبعين رجـلاً، وإنـما اسـتجازوا وقـوع الفعل عليهم إذا طرحت (مِن) لأنه مأخوذ من قولـك هـؤلاء خير القـوم، وخير من القوم، فلما جازت الإضافة مكان (مِن) ولم يتغير المعنىٰ استجازوا أن يقولـوا: اخترتكم رَجُلاً، واخترت منكم رجلاً.

وقال أبو العباس[٤]: إنما جاز هذا لأن الاختيار يـدل عـلىٰ التـبعيض، ولـذلك حذفت (مِن).

---

(١) البيت من بحـر البـسيط للراعـي الـنميري ينظـر التهـذيب ١٣/ ٦٧ ، لـسان العـرب (سـول) ٦/ ٤٣٧ الطبري ١٣/ ٤٣٧، والشاهد فيه قوله:

«اخترتك الناس» أراد من الناس، فحذف حرف الجر.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٣٩٧ .

(٣) **الفراء**: هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، كان إمامًا ثقة قال عنه الإمام ثعلب:

«لولا الفراء لما كانت اللغة، لأنه حصيلها وطبطها، ولولا الفراء لـسقطت العربيـة؛ لأنهـا كانـت تنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس علىٰ مقادير عقولهم، وقـرائحهم فتـذهب» تـوفي سـنة ٢٠٧هـ، ينظر في ترجمته: نزهة الألباء في طبقات جمعيـة إحيـاء مـآثر العـرب ص٦١ ، تحقيـق د. عطية عامر، من دون تاريخ، مراتب النحويين لأبي الطيب اللغـوي مـن ٨٦، ٨٧ ، تحقيـق محمـد أبي الفضل إبراهيم، ط/ الأولىٰ سنة ١٩٥٥ م.

(٤) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بالمبِّرد كان شـيخ أهـل النحـو والعربيـة، ولقب بالمبرد، لأنه لما ألف المـازني كتـاب الألـف والـلازم سـأله عـن دقيقـة وعويـصة، فأجابـه أبو العباس بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرِّد أي (المثبت للحق) فحرفه الكوفيون، وفتحوا الراء، وللمبرد في النحو آراء مستفيضة ومتعددة تحفل بها كتب النحـو، وهـي كـما يبـدو منها تشير إلىٰ تحريره وعلمه. توفي سنة ٢٨٥هـ، ينظر في ترجمته: نزهة الألبـاء ص١٤٨ - ١٥٧ ، وبغية الوعاه ١١٦ والمبرد حياته وآثاره للشيخ عصيمة ١٧ وما بعدها.

التعليق:

نجد أن الفراء - رحمه الله - قد غلبت عليه الصنعة النحوية - وأن أبا العباس أي: المبرد - رحمه الله - قد نظر إلىٰ معنىٰ الاختيار، والأول يمثل المدرسة الكوفية والآخر يمثل المدرسة البصرية.

وقد أوضح فضيلة الشيخ الشعراوي - رحمه الله - معنىٰ الاختيار من خلال خواطره حول هذه الآية الكريمة فقال: «كلمة «اختار» تدل علىٰ العمل الاختياري يُرَجِّحُ العقل فيه فعلاً علىٰ عدم فعل أو علىٰ فعل آخر، وإلا فلا يكون في الأمر اختيار، لأن «اختار» تعني طلب الخير والخيار، وكان في مقدرتك أن تأخذَ غيره، وهذا لا يتأتىٰ إلا في الأمور الاختيارية التي هي مناط التكليف. مثال ذلك: اللسان خاضع لإرادة صاحبه فخضع للمؤمن حين قال: لا إله إلا الله، وخضع للملحد حين قال - لعنه الله -: لا وجود لله، ولم يعص اللسان في هذه ولا في تلك»[١].

معنى الاختيار في اللغة:

يقول ابن فارس: «الخاء والياء والراء أصله العَطف والميل ثم يُحمل عليه، فالخير خلاف الشر، لأن كل أحد يميل إليه وتعطف علىٰ صاحبه»[٢].

ويوضح الراغب معنىٰ الاختيار بقوله:

«والاختيار: طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرًا، وإن لم يكن خيرًا»[٣].

ويقول الرازي في مختار الصحاح:

«والاختيار: الاصطفاء وكذا: التخيُّر»[٤].

---

(١) تفسير الشعراوي - المجلد السابع ص٤٣٧٣ - أخبار اليوم.

(٢) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص٣٣٦ ، (خ ي ر).

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ، (خ ي ر). ص٢٣٢ .

(٤) مختار الصحاح للرازي (خ ي ر) ص١٠٥ .

ولم يفرق ابن منظور - كذلك بين الاختيار والاصطفاء[١].

ويقول الفيروزآبادي:

«وخَار الشيء: انتقاه كتخيَّره... واخترته الرجالَ واخترته منهم وعليهم»[٢].

ويقول الفيومي:

«وخيّرته بين الشيئين: فوضت إليه الاختيار فاختار أحدَهما»[٣].

وفي المعجم الوسيط:

«خار الشيء... انتقاه واصطفاه و - الشيءَ علىٰ غيره: فضله عليه»[٤].

ومن خلال ما سبق من أقوال اللغويين نستطيع أن نُعَرِّفَ الاختيار في اللغة بأنه طلبُ الخير وذلك بترجيح أمرٍ علىٰ أمر وفيه معنىٰ الانتقاء والاصطفاء.

الفرق بين الاختيار والانتقاء:

يقول ابن فارس:

«النون والقاف والحرف المعتل أصل يدل علىٰ نظافةٍ وخلوص، منه: نَقَّيتُ الشيء: خَلَّصْتُه مما يشوبُه، تنقيةً وكذلك يقال: انْتَقَيتُ الشيءَ كأنك أخذت أفضله، وأخلصه، والنَّقاوة: أفضل ما انتقيت من الشيء»[٥].

فالانتقاء: افتعال من النقاء، بمعنىٰ استخلاص الشيء مما يشوبه.

وهذا المعنىٰ وإن كان يشبه معنىٰ الاختيار، لكنه لا يقال علىٰ ما اختاره العلماء من وجه الروايات القرائية، لأنه يشعر بنقص المنتقىٰ منه بعد خلوص المنتقىٰ وقد

---

(١) ينظر لسان العرب (خير) ٤/ ١٥٩ طبعة دار إحياء التراث العربي ١٩٩٥ م.

(٢) القاموس المحيط (خ ي ر) ص٣٨٩ مؤسسة الرسالة ١٩٩٨ م.

(٣) المصباح المنير للفيومي (خير) ص١٨٥ دار الفكر.

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية (خير) ص٢٦٤ .

(٥) المقاييس (ن ق و) ص١٠٤٢ ، تحقيق شهاب الدين أبي عمر.
دار الفكر ط/ الأولىٰ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

يكون العكس.

قال ابن فارس:

النَّقَاة: الردي... كأنه الذي انتُقي فطُرح، وقال بعضهم: نقَاة كل شيء: رَدِيُّه إلا التمر، فإن نقاته: خيارُه[١].

الفرق بين الاختيار والاصطفاء:

يقول ابن فارس:

«الصاد والفاء والحرف المعتل أصل واحد يدل علىٰ خلوص من كل شَوب، من ذلك الصفاء، وهو ضد الكدر، يقال صفا يصفو: إذا خلص»[٢].

فالاصطفاء هو الاختيار المُرضي، وقد ذكر في القرآن الكريم منسوبًا إلىٰ الله تعالىٰ وحده - كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[٣].

يقول الزمخشري في معنىٰ الاصطفاء في هذه الآية الكريمة:

«أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان، وهو دين الإسلام، ووفقكم للأخذ به»[٤]

ويقول أبو حيان في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[٥].

«فذكر تعالىٰ جَعْلَ هؤلاء صفوة، أي: مختارين نقاوةً، والمعنىٰ أنه نقاهم من الكدر، وهذا من تمثيل المعلوم بالمحسوس.

واصطفاء آدم بوجوه:

منها: خلقه أول هذا الجنس الشريف، وجعله خليفة في الأرض، وإسجا

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق (ص ف و) ص٥٦٩ .

(٣) الآية ١٣٢ من سورة البقرة.

(٤) الكشاف ١ / ٣١٣.

(٥) الآية ٣٣ من سورة آل عمران .

الملائكة له، وإسكانه جنته، إلى غير ذلك مما شرفه به[١].

ويقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله -:

«وكلمة اصطفىٰ تدل علىٰ اختيار مُرضٍ، ولنا أن نسأل هل اصطفىٰ الحق هؤلاء الرسل: آدم، ونوحًا، وآل إبراهيم، وآل عمران، فكانوا طائعين، أم علم الحقُ أزلاً أنهم يكونون طائعين فاصطفاهم؟

إن الحق علمه أزلي، وعلمه ليس مرتبًا علىٰ شيء... إن الذين اصطفاهم الله هم الذين علم الله أزلاً أنهم سيكونون طائعين، وقد يقول قائل: إنهم طائعون لله بالاصطفاء لمثل هذا القائل نرد: إنهم طائعون بالنفس العامة، ويكونون في مزيد من الطاعة بعد أن يأخذوا التكليف بالنفس الخاصة، إنهم طائعون قبل أن يأخذوا التكليف... عندما يسمع الإنسان قول الحق: «إن الله اصطفىٰ آدم» فقد يتساءل عن معناها ذلك أن من اصطفاء الله لآدم تأتي إلىٰ الذهن بمعنىٰ «خصه» بنفسه أو أخذه صفوة من غيره، فكيف كان اصطفاء آدم، ولم يكن هناك أحد من قبله أو معه، لأنه الخلق الأول؟ إننا يمكن أن نعرف بالعقل العادي أن اصطفاء الله لنوح عليه السلام، كان اصطفاء من بشر موجودين، وكذلك اصطفاء إبراهيم خليل الرحمن، وبقية الأنبياء.

إذن، فكيف كان اصطفاء آدم؟ إن معنىٰ «اصطفىٰ آدم» كما قلنا تعني أن الله قد اختاره أو أن المصطفىٰ عليه يأتي منه ومن ذريته نعم، وقد جاء المصطفىٰ عليه من ذريته، وهذا المعنىٰ يصلح، والمعنىٰ السابق عليه يصلح أيضًا» ا.هـ[٢].

تعليق:

فمن هنا كان الاصطفاء بمعنىٰ الاختيار المرضي المخصَّص، وهو بهذا المعنىٰ

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٤٥٢.

(٢) تفسير الشعراوي المجلد الثالث ص١٤٢٧، ١٤٢٨.

أخص من الاختيار، كما أن فيه معنىٰ الاختصاص ابتداءً، كاصطفاء آدم علىٰ أحد القولين. والله أعلم.

الفرق بين الاختيار والإرادة:

ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين الاختيار والإرادة فقال:

«الفرق بين الإرادة والاختيار أن الاختيار إرادة الشيء بدلاً من غيره، ولا يكون مع خطور المختار وغيره بالبال، ويكون إرادة للفعل لم يخطر بالبال غيرُه.

وأصل الاختيار: الخير فالمختار هو المريد لخير الشيئين في الحقيقة أو خير الشيئين عند نفسه من غير إلجاء واضطرار ولو اضطر الإنسان إلىٰ إرادة شيء لم يسمَّ مختارًا له لأن الاختيار خلاف الاضطرار».

الفرق بين الاختيار والإيثار:

والفرق بين الاختيار والإيثار أن الإيثار علىٰ ما قيل هو الاختيار المقدَّم، والشاهد قوله تعالىٰ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾[1]. أي قدَّم اختيارك علينا، وذلك أنهم كلَّهم كانوا مُخْتارين عند الله تعالىٰ... وعندنا أن قوله تعالىٰ: ﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ معناه: أنه فضلك الله علينا، وأنت من أهل الأَثَرة عندي أي ممن أفضله علىٰ غيره بتأثير الخير والنفع عنده، واخترتك: أخذتك للخير الذي فيك في نفسك، ولهذا يقال آثرتك بهذا الثوب وهذا الدينار، ولا يقال اخترتك به»[2].

وبذلك نعرف أن علماء القراءات كانوا بالغي الدقة عندما اصطلحوا علىٰ لفظ الاختيار وليس الإيثار أو أي لفظ آخر، فما معناه عندهم؟

معنىٰ الاختيار في باب القراءة:

يقصد بالاختيار في باب القراءة:

(أن يَعْمِدَ مَن كان أهلاً له إلىٰ القراءات المرويةِ فيختارَ منها ما هو الراجحُ

---

(١) من الآية (٩١) من سورة يوسف.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٠١، ١٠٢.

عنده ويجردَ من ذلك طريقًا في القراءة علىٰ حِدَه)[١].

ومعنىٰ ذلك أن ينتقي مَن له حق الاختيار من القراءات المروية ما هو راجح عنده بناءً علىٰ فكرة معينة سواء ذكرها أم لم يذكرها، ثم هو لم يتقيد بمذهب بعينه ولم ينسب إلىٰ مصدر بذاته.

فأبو القاسم الهذلي[٢] - مثلاً - انتقىٰ أصول قراءته ومفراداتها من عدد كبير من شيوخ عصره بلغ عددهم: ثلاثمائة وخمسةً وخمسين إمامًا من أرباب الاختيارات الذين بلغوا رتبتها أي (السبعة والعشرة)[٣].

فهو لم يترك إمامًا من الأئمة في القراءة واللغة حتىٰ فَنّد قراءته، ثم اختار من مجموع هذه القراءات ما رآه راجحًا عنده.

الفرق بين القراءة والاختيار:

فرّق الأندرابي[٤] بين القراءة والاختيار بقوله:

«إن القراءة تعني أن يكون للمقرئ قراءةٌ مجردةٌ علىٰ حرفٍ واحدٍ من أول القرآن إلىٰ آخره، وأما الاختيار فهو أن يأخذ القارئ من مجموع القراءات التي

---

(١) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري ص١٢١، اعتنىٰ به عبد الفتاح أبو غدة / مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب سورية، الطبعة الرابعة.

(٢) هو يوسف بن علي بن جبارة الهذلي ولد في حدود التسعين وثلاثمائة من الهجرة في بلدة بَسْكرة المغربية وبدأ رحلته العلمية في جميع القراءات حتىٰ سافر من المغرب إلىٰ المشرق، وطاف البلاد وألف كتابه (الكامل في القراءات الخمسين) وهو أكبر كتاب في القراءات يجمع مثل هذا العدد، وتوفي سنة ٤٦٥هـ، ينظر ترجمته في معرفة القراء للذهبي ١/ ٤٢٢، وغاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٣٩٧، والإكمال لابن ماكولا، وترجمته وافية في رسالتي للعالمية (الدكتوراة): اختيارات الهذلي في القراءات القرآنية من خلال كتابه الكامل دراسة صوتية ق٣٧، وما بعدها، مخطوط في مكتبة كلية اللغة العربية بالمنصورة.

(٣) ينظر **كشف الظنون** ٢/ ١٣٨١.

(٤) هو أبو عبد الله بن أبي عمر المعروف بالأندَرابي (بفتح الدال) نسبة إلىٰ أندَرابه بلدة بين غزنين وبلخ، صاحب الإيضاح في القراءات توفي بعد سنة ٥٠٠هـ ينظر في ترجمته غاية النهاية لابن الجزي ١/ ٩٣.

رواها حروفًا يفضلها لسبب يذكره أو لا يذكره، قد يكون حرف منها من قراءة في حين يكون الحرف الآخر من قراءة أخرىٰ، وهكذا إلىٰ آخر القرآن الكريم»[١].

الفرق بين الاختيارات والانفرادات:

كل من الاختيار والانفراد فيه معنىٰ انتقاء واصطفاء بعض القراءات والأوجه القرائية التي يرجحها من اختارها أو انفرد بها بسند صحيح. ولكن الانفرادات معناها الدقيق يختلف عن الاختيارات؛ إذْ الانفرادات هي ما انفرد به إمام أو راوٍ من قواعد وأحكام قرائية أو حروف معينة من أول القرآن إلىٰ آخره مع التزامه في بقية المواضع بما قرأ به الشيخ الإمام.

ولذلك سمي انفرادًا أي أنه سار علىٰ قراءة معينة من أول القرآن إلىٰ آخره إلا في حروف معينة انفرد[٢] بها.

- وأما الاختيار فهو انتقاء القارئ حروفًا يفضلها، قد يكون حرف منها من قراءة في حين يكون الحرف الآخر من قراءة آخرىٰ، فهو لم يسر علىٰ قراءة واحدة كالأول.

- كما أن الاختيار يمكن فيه التعدد بمعنىٰ أن ما اختاره أبو عبيد مثلاً يمكن أن يختاره الهذلي وغيره وينسب إلىٰ كلٍ علىٰ حده، وليس ذلك في الانفراد.

- كما يمكن للشيخ أن يختار أكثر من اختيار في الموضع الواحد.

مثال الانفراد:

- مثل ما انفرد به أبو جعفر عن غيره من القراء العشرة - من تسهيل همز (إسرائيل) مع التوسط وصلاً فقط في القرآن كله[٣].

---

(١) قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين للأندرابي ص٢٨، ٢٩.

(٢) ينظر روضات الجنات في ما انفرد به ثلاثة الدرة من القراءات للشيخ محمود علىٰ بسه ص٦.

(٣) المرجع السابق ص١٢.

- وما انفرد به أبو جعفر - أيضًا - من زيادة هاء السكت عند الوقف علىٰ كل من (هو - هي - ياء المتكلم المشددة المفتوحة نحو: (مصرخي - إلي) والنون المشددة من ضمير جماعة المؤنثات الغائبات أي المسبوقة بهاء نحو (هنّ) سواء اتصل بها شيء أم لا، وسواء كان قبل الهاء ياء أم لا كيفما وقعت هذه الضمائر الأربعة في القرآن»[١].

- وكانفراد رويس بزيادة هاء السكت عند الوقف علىٰ المنادي المندوب إذا كان آخره ألفًا غير مسبوقة بنون في مواضعه الخمسة الواردة في القرآن وهي (يا ويلتىٰ) بالمائدة وهود والفرقان و(يا أسفىٰ) بيوسف. و(يا حسرتىٰ) بالزمر.

وبزيادة هاء السكت - أيضًا - عند الوقف علىٰ (ثَمَّ) الظرف في مواضعها الثلاثة الواردة في القرآن بالبقرة/ ١١٥، والإنسان/ ٢٠، والتكوير/ ٢١[٢].

فهذه انفرادات وغيرها كثير وقد ألف بعضهم في هذا النوع[٣].

- وفيه ما ينفرد الراوي عن الإمام، أو الإمام نفسُه له انفراداته عن تلميذه الذي اشتهرت قراءته كانفرادات أبي جعفر وهو شيخ نافع.

التوسع في إطلاق الاختيار:

توسَّعَ العلماء في إطلاق لفظ الاختيار علىٰ القراءات المنسوبة إلىٰ أحد الصحابة أو غيرهم من القراء؛ لبيان سبب نسبة القراءة إليه، وأن قولنا: قراءةُ فلانٍ يعني: اختياره وليس اختراعه أو اجتهاده.

---

(١) المرجع السابق ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص١٦، وهناك موضع رابع وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ۝﴾ الشعراء/ ٦٤.

(٣) مثل القول الأصدق في بيان ما خالف فيه الأصبهاني الأزرق، تأليف علىٰ محمد الضباع.

يقول الإمام الداني في جامع البيان:

«إن معنىٰ إضافة كل حرف مما أنزل الله تعالىٰ إلىٰ مَن أضيف إليه من الصحابة كأبي وعبد الله وزيد وغيرهم من قِبَل أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلاً إليه، لا غير ذلك، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلىٰ أئمة القراء بالأمصار، المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراء، بذلك الوجه من اللغة وآثره علىٰ غيره وداوم عليه ولزمه حتىٰ اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ عنه فلذ لك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»[(١)].

«فمنهج الاختيار في تاريخ القراءات نشأ عنه ما عرف بالقراءات السبع أو العشر.

واختار ابن مجاهد القراءات السبع للقراء السبعة وارتضىٰ الأكثرون اختياره، وإن عارضه بعضهم»[(٢)].

فهذا أيضًا اختيار؛ إذ القراءات القرآنية كانت في عصره كثيرة، «حتىٰ وصل بها أبو عبيد القاسم بن سلام نحو ثلاثين قراءة... وأوشك ذلك أن يكون بابًا لدخول شيء من الاضطراب علىٰ ألسنة القراء وكان منهم المُتْقِن - كما يذكر ابن مجاهد في تقديمه للكتاب - ومنهم غير المتقن الذي قد يعتريه النسيان.. وزادت الطامة بما كان بعض القراء يرويه مثل ابن شنَّبوذ - عن مُصْحَفَي أبي وابنِ مسعود، وما كان آخرون مثل ابن مِقْسَم العطار يستنبطونه بعقولهم من احتمالات القراءة لخط المصحف العثماني، مما جعل الحاجة تشتد إلىٰ شيخ من شيوخ القراء النابهين، يضع الأصول والأركان لقبول القراءات من جهة وليختار طائفة نابهة

(١) جامع البيان للداني ٢١ / مخطوط مصور بكلية القرآن تحت رقم ٧٩، وقد نقل ابن الجزري - رحمه الله - في كتابه النشر كلام الداني دون أن يشير إليه - ينظر النشر ١/ ٥٢.

(٢) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق للدكتور السيد رزق الطويل ص٥٦.

من القراء يكتفي بها عمن سواه حتىٰ تستطيع عقول أوساط القراء أن تتمثلهم وتستوعبهم، فاجتهد للأمة وللدين وقرآنه العظيم»[١].

وقد تصفحت كتاب السبعة أكثر من مرة لعلي أعثر علىٰ اختيار واحد لابن مجاهد فلم أعثر، مما يؤكد هذه الرواية الطريفة: «أن بعض تلاميذه ممن بهرتهم سَعة روايته للقراءات وعلمه بوجوهها وضبط حروفها قال له: لِمَ لا تختار لنفسك قراءة تُحْمَل عنك؟ فقال: نحن إلىٰ أن نُعْمِل أنفسنا في حفظ ما مضىٰ عليه أئمتُنا أحوجُ منا إلىٰ اختيار حرفٍ يقرأ به مَن بعدَنا»[٢].

وقد علق الدكتور شوقي ضيف بعد أن ذكر هذه الرواية بقوله: «فهو قد وهب نفسه للوقوف علىٰ القراءات وتَمَثُّلِها واستيعابِها، ولم يفكر في أن ينفرد لنفسه بقراة يشتهر بها وتعرف به، ولو فكر لاستطاع في يُسرٍ أن يتميز بقراءة يختارها من قراءات الأئمة، وليكن مثلاً نافع أساسَها ثم يتركه إلىٰ حروف يختارها من لدن قراء آخرين يخالفه فيها وبذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة»[٣].

وأنا مع الدكتور شوقي ضيف في أهلية ابن مجاهد للاختيار، وإن كنت لا أوافق فضيلته في تسمية الانفرادات اختيارات، فلو فُرض أن اتخذ ابن مجاهد نافعًا - مثلاً - أساسًا لقراءته التي اختارها، ثم تركها في بعض الحروف وأخذ غيرها من لدن قراء آخرين - لو فعل ذلك لكان هذا انفرادًا وليس اختيارًا.

فظهر لنا أن معنىٰ الاختيا فيما فعله ابن مجاهد في اختيار القراء السبعة أوسع من هذا الذي رفضه ابن مجاهد تواضعًا منه وتأدبًا.

وقد ذكر علماء القراءات كلمة «الاختيار» في تصانيفهم، وأرادوا بها الحرف الذي اختاره ولزمه.

---

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد - كلام المحقق الدكتور شوقي ضيف ص٢٠.

(٢) المرجع السابق ص٢٤. (٣) المرجع السابق نفسه.

ومن ذلك قول ابن الباذش عن الإمام نافع:

«إمام أهل المدينة والذي صاروا إلىٰ قراءته، ورجعوا إلىٰ اختياره»[١].

ويقول شعبة عن أبي عمرو بن العلاء:

«انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسنادًا»[٢].

ونقل ابن الجزري عن الإمام البغوي قوله:

«واتفقت كلمة الأمة علىٰ اختيارهم ثم عقب بقوله:

«وقد ذكرت في هذا الكتاب قراءآت من اشتهر منهم بالقراءة واختياراتهم»[٣].

«فنسبة القراءات إلىٰ أئمة معينين يدل علىٰ اختيارهم ما روَوا فإذا قلنا قراءة فلان فهذا يعني اختيار فلان؛ لأنه ما من إمام إلا وسمع من شيوخ متعددين وأخذ أوجهًا كثيرة، فاجتبىٰ منها بعضها لزمها وداوم عليها وأقرأ الناس بها فنسبت إليه»[٤].

فإطلاق لفظ الاختيار علىٰ القراءة جائز عندما نريد أن نوضح معنىٰ إضافة القراءة إلىٰ فلان: أي أنه اختارها.

كما أن إطلاق الاختيار علىٰ ما فعله ابن مجاهد في انتقاء السبعة أو غيره ممن جمعوا عددًا معينًا من القراء وقراءاتهم - جائز من باب المعنىٰ اللغوي للاختيار.

فكلمة الاختيار موجودة منذ نشأته، فمتىٰ نشأ الاختيار؟

هذا هو الفصل التالي ليجيب علىٰ هذا السؤال.

* * *

---

(١) الإقناع لابن الباذش ١/ ٥٥. (٢) طبقات القراء ١/ ٢٩٢.

(٣) النشر ١/ ٣٨.

(٤) ينظر القراءات القرآنية تاريخها - ثبوتها - حجيتها وأحكامها لعبد الحليم قابه ص٢٦٢.

الفصل الثاني

نشأة الاختيار

إذا أردنا أن نكشف عن نشأة الاختيار في باب القراءات، فخليق بنا - أولاً أن نبحث عن المراحل التي مرت بها القراءة منذ عهد النبي ﷺ.

أولاً: القراءة في عهد النبي ﷺ:

١ - لقد تلقىٰ النبي ﷺ القرآن الكريم من عند ربه عز وجل عن طريق الأمين جبريل - عليه السلام - كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[١] وكانت كيفية التلقي ترتيلاً كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾[٢] بأي صورة يأتيه الوحي بها كما فَصَّل الإمام السيوطي ذلك في الإتقان[٣].

ومعنىٰ الترتيل - كما قال الخليل:

«رتلت الكلام ترتيلاً إذا أمهلتَ فيه وأحسنتَ تأليفه، وهو يترتَّل في كلامه، ويترسل إذا فصل بعضه من بعض»[٤].

وقال الزمخشري في معنىٰ قوله: ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾:

«ومعنىٰ ترتيله: أن قدّره آية بعد آية ووقفة عَقِيبَ وقفة، ويجوز أن يكون المعنىٰ: وأمرنا بترتيل قراءته وذلك - قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[٥] أي: اقرأه بترسل وتثبت... وأصله الترتيل في الأسنان وهو تفليجُها وقيل هو: أنْ نزله مع كونه متفرقًا علىٰ تمكُّثٍ وتمهل في مدةٍ متباعدة... ولم يفرقه في مدة متقاربة[٦].

---

(١) الآية رقم (٦) من سورة النمل. (٢) من الآية ٣٢ من سورة الفرقان.

(٣) ينظر الاتقان للسيوطي ١/ ٢٥ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار التراث.

(٤) العين للخليل (ر ت ل) ٨/ ١١٣. (٥) من الآية ٤ من سورة المزمل.

(٦) الكشاف للزمخشري ٣/ ٩١.

وقال أبو حيان:

«ولو أُلْقِي عليه جملةً واحدةً يعيا في حفظه، والرسولُ عليه السلام فارقت حاله حال داود، وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام، حيث كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وهم كانوا قارئين كاتبين، فلم يكن له بُدٌّ من التلقن والتحفظ»[(١)].

فالكيفية التي تلقىٰ بها النبي ﷺ الوحي القرآني هي التي أنزله الله بها، وهي التي أمره الله بها في أول الأوامر القرآنية في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾.

قال الزمخشري في هذه الآية:

«ترتيل القرآن: قراءته علىٰ ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتىٰ يجيء المتلوُّ منه شبيهًا بالثَّغر المرتَّل وهو المُفَلَّج المشبه بنور (الأُقْحُوان)[(٢)]. وأن لا يَهُذَّه هَذًّا ولا يَسْرُدَه سَرْدًا كما قال عمرُ - رضي الله عنه -: شر السير الحَقْحَقَة[(٣)] وشر القراءة الهَذْرَمَة حتىٰ يشبه المتلو في تتابعه الثَّغر الألص[(٤)].

«وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: لا كَسَرْدِكم هَذا، لو أراد السامع أن يَعُدَّ حروفَه لعَدَّها»[(٥)].

وترتيلاً: تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه ما لابد منه للقارئ» أ.هـ[(٦)].

وقد أشار بعضُ القراء إلىٰ أن الترتيل يشمل مراتبَ القراءة الثلاث (التحقيق

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٤٥٥.

(٢) **الأقحُوان**: علىٰ وزن أُفْعُلان بضم أوله وثالثه هو: نوع من نبات الربيع مُفَرض الورق، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن - ينظر اللسان (ق ح و) ١١/ ٤٩.

(٣) **الحقحقة**: شدة السير، انظر اللسان (ح ق ق) ٣/ ٢٦٢.

(٤) **الألص**: من اللصص وهو تقارب ما بين الأضراس حتىٰ لا ترىٰ بينهما خللاً. فمعنىٰ الثغر **الألص**: الفم المتقارب أسنانه بحيث لا يكون بينها فُرج أو خلل - ينظر اللسان (ث غ ر) ٢/ ١٠٣ (لصص) ١٢/ ٢٧٨.

(٥) الحديث: رواه أحمد في مسنده ٦/ ٣٠٢، وأبو داود (٤٠٠١) والترمذي (٢٩٢٧).

(٦) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٧٥.

والحدر والتدوير) فقال:

ويُقْـــرأ القـــرانُ بـــالتحقيقِ مَـــعْ
حَـــدْرٍ وتَـــدْويرٍ وكُـــلٌّ مُتَّبَـــعْ
فـــاقرأْه بالترتيـــلِ والـــتَّمام
وهـــاكَ نظـــمًا جـــامعَ الأحكـــام[1]

وقال أحدهم:

«وقد ذهب بعضهم إلىٰ تقسيم مراتب القراءة إلىٰ: تحقيق وترتيل وحدر وتدوير، والصحيح أن الترتيل ليس بمرتبة من مراتب القراءة، ولو كان كذلك لما جاز غيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾.

فالترتيل هو إعطاء الحروف حقَها ومستحقَها، وهو بهذا المعنىٰ يشمل المراتب الثلاث»[2].

٢- وظل النبي ﷺ يقرأ بهذه الكيفية التي تلقاه بها، والصحابة - رضوان الله عليهم - يتلقونه من النبي ﷺ، وقد أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يتلو كتابه (القرآن الكريم) علىٰ أصحابه منذ اللحظة الأولىٰ لإنزاله فقال عز مِن قائل:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[3].

وخاطب الله الأمة المحمدية في أول الأمر بقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[4] وهذا أمر إباحة كما قال الجمهور والمراد به - كما قيل - المراد بقراءة

---

(١) زينة الأداء شرح حلية القراء للشيخ سعيد بن زحمد العنبتاوي، شرح محمود أحمد مِرْوح مصطفىٰ ص٤٦ دار الفرقان - الطبعة الأولىٰ ١٩٩٩ م.

(٢) المرجع السابق نفسه. (٣) الآيات من ١-٥ من سورة العلق.

(٤) من الآية ٢٠ من سورة المزمل.

القرآن بعينها لا كناية عن الصلاة[١]. ولا خاصًا بالفاتحة[٢].

قال أبو حيان:

وإذا كان المراد: فاقرؤا في الصلاة ما تيسر، فالظاهر أنه لا يتعين ما يقرأ، بل إذا قرأ ما تيسر له وسهل عليه أجزأه»[٣].

وقال البخاري: «باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ وذكر حديث هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب بأن الرسول ﷺ قال: «إن هذا القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه».

قال ابن حجر: (والمراد بالمتيسَّر منه في الحديث غيرُ المراد به في الآية، لأن المراد بالمتيسَّر في الآية بالنسبة للقلة والكثرة، والمراد به في الحديث بالنسبة إلىٰ ما يستحضره القارئ من القرآن فالأول من الكمية والثاني من الكيفية»[٤].

- قلت: يمكن لنا أن نستأنس بهذا علىٰ إشارة القرآن إلىٰ إباحة أن يختار القارئ ما يقرؤه - بعيدًا عن خلاف المفسرين في نوع التيسير هل هو للكم أم للكيف؟

اختيار النبي ﷺ:

لا يختلف اثنان في أن النبي ﷺ قد قرأ القرآنَ الكريمَ بكل الأحرف السبعة، فهو الذي أنزل عليه القرآن الكريم وكُلِّف بالقراءة حيث قال الله له:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[٥]، كما أمره الله عز وجل - أيضًا - بأن يقرئ أمتَه القرآنَ علىٰ سبعة أحرف، كما هو مفهوم من الأحاديث.

---

(١) ينظر البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٣٥٩.
(٢) ينظر كلام الآلوسي في ذلك ٢٩/ ١١٣.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٥٩.
(٤) فتح الباري ١٣/ ٤٠٠.
(٥) الآيات الخمس الأولىٰ من سورة العلق.

إذا كان ذلك كذلك فما معنىٰ قولهم: وقد اختار النبي هذه القراءة، أو: هذه قراءة النبي ﷺ؟

إن بعض العلماء من المفسرين والقراء اصطلحوا علىٰ إطلاق هذا العنوان: «قراءة النبى» علىٰ كل قراءة ليست منسوبة إلىٰ أحد من أئمة الرواية في القراءات، بل نقلها المحدِّثون عن النبي ﷺ، أو نسبت إلىٰ غير العشرة، ويكثر هذا في المحتسب لابن جنى[1]، وتفسير الطبري، والكشاف للزمخشري، والمحرر الوجيز لابن عطية.

قال صاحب التحرير:

وما كان ينبغي إطلاق وصف قراءة النبي عليها؛ لأنه يوهم مَن ليسوا مِن أهل الفهم الصحيح أن غيرها لم يقرأ به النبي ﷺ[2].

وإليك مثالين علىٰ ذلك:

١ - في قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3].

قرأ عاصم الجحدري وعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسىٰ بن عمرو وأبو الطفيل (هُدَيَّ) بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلم؛ إذْ لم يمكن كسر ما قبل الياء؛ لأنه حرف لا يقبل الحركة، وهي لغة هذيل:

وهي قراءة رسول الله ﷺ[4].

تعليق:

وهذه لغة فصيحة من لغات العرب يقلبون ألف المقصور ياء، ويدغمونها في

---

(١) ينظر: المحتسب لابن جني ١/ ٧٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١/ ٥٤، ٥٥.

(٣) من الآية ٣٨ من سورة البقرة.

(٤) ينظر: المحتسب ١/ ٧٦، المحرر الوجيز ١/ ٢٦٤، البحر المحيط ١/ ٣٢٢.

ياء المتكلم، وقال شاعرهم[١]:

سبقوا هَوَي وأعنقوا لهواهم

فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ قَومٍ مَصْرَعُ

٢ - في قول الله تعالىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[٢] قرأ الجمهور بتشديد الدال من ﴿وَدَّعَكَ﴾ وقرأ عروةُ بنُ الزبير وابنُه هشام وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة وأبو بحرية ومقاتلُ ويزيدُ النحوي ومجاهدُ وأبو البَرَهْسِم وابنُ عباس في ما رواه عن النبي ﷺ، وعمرُ بن الخطاب وأنسٌ وأبو العالية وأبو يعمر وأبو حاتم عن يعقوب ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ بتخفيف الدال أي: ما تركك[٣] ومنه قوله ﷺ في الحديث: «لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن ودْعِهم الجُمُعاتِ أو لَيُخْتَمَنَّ علىٰ قلوبهم»[٤].

وقال الصاغاني في العباب:

«وقد اختار النبي ﷺ أصل هذه اللغة فيما رَوىٰ ابنُ عباس رضي الله عنهما - أنه قرأ: ما ودَعك مخففةً وكذلك قرأ عروة ومقاتل وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة ويزيد النحوى»[٥].

تعليق:

إذا علمنا أن قراءة ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ بالتخفيف قد ثبتت روايتُها عن النبي ﷺ أدركنا أن ما يردده اللغويون في هذه المادة من أنهم أهملوا ماضي يدع ويذر ومصدرهما تعسف؛ فإن الحق كما قال الشهاب: «إنه كلَّه ورد في كلام العرب، ولا

---

(١) **القائل**: هو أبو ذؤيب الهذلي، ومناسبته أنه قاله في رثاء أبنائه الخمسة وقد هلكوا بالطاعون في يوم واحد، ويروي: (لسبيلهم) مكان (لهواهم) وروي: (ففقدتهم) مكان: (فتُخُرِّموا)، ومعنىٰ أعنقوا: أسرعوا، من العنق وهو السير الفسيح، وتُخُرموا: تخطفهم الموت، ينظر: ديوان الهذليين: ٢:١.

(٢) الآية ٣ من سورة الضحىٰ.

(٣) **مختصر ابن خالويه** ١٧٥، والمحتسب ٢/ ٣٦٤والبحر المحيط ٨/ ٤٨٠.

(٤) الحديث: أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب: التغليظ في ترك الجمعة رقم ٤٠.

(٥) **العباب** للصاغاني ٢/ ١٤٠.

عبرةَ بكلام النحاة فيه وإذا جاء نهرُ الله بطَل نهرُ معقل وإن كان نادرًا»[١].

وما أجملَ تعليقَ المرحوم عبدِ الوهاب حَمُّودة عندما قال: «فإنَّ للقرآنِ أسلوبًا من النحوِ ينبغي أن يُقاسَ عليه ولا يُقاس هو علىٰ غيره، وذلك إذا صح سندُ القراءة ووافقَتْ رسمَ المصاحفِ العثمانيةِ فَليُصْلِحِ النُّحاةُ قواعدَهم ولْيَصُوغُوها كما صَاغَها القرآنُ الكريمُ، فإنه النَّصُّ الوحيدُ المقطوعُ بصحتِه المتواترُ في رُوايتِه، فإنَّ في صحةِ القياسِ علىٰ ما تَرِدُ به القراءتُ الصحيحةُ مخالفًا لما اشتُهر في كلامِ العرب زيادةً في أساليبِ القول وفتحًا لطُرُقٍ يزدادُ بها بيانُ اللغةِ سعةً علىٰ سعتِه»[٢].

القراءات في العهد المكي وعلاقتها بالدعوة:

من المعلوم أن النبي ﷺ مكث في مكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة، وأن أكثر القرآن نزل خلال هذه الفترة، وأن الدعوةَ الإسلاميةَ في مكة مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولىٰ:

الدعوة السرية واستمرت ثلاث سنوات، وفي هذه الفترة دخل في الإسلام عدد من آل بيت النبي ﷺ وأصدقائه، كما دخل في الإسلام عدد من غيرهم.

ومن أوائل المسلمين من غير آل بيته ﷺ بلال بن رباح وعبد الله بن مسعود الهذلي وصهيب الرومي وأبو ذر الغفاري وغيرهم[٣].

المرحلة الثانية: الدعوة جهارًا:

وفيها نزل قول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾[٤] ثم نزل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾[٥].

---

(١) حاشية الشهاب ٩/ ٥١١.
(٢) القراءات واللهجات ص١٤٨ - ١٤٩.
(٣) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٨.
(٤) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء، وانظر تعليق المباركفوري في الرحيق المختوم ص٧٦.
(٥) الآية ٩٤ من سورة الحجر.

وجهر النبي ﷺ بالدعوة، ولاقىٰ ما لاقىٰ من العذاب و«كان من الحكمة تلقاء هذه الاضطهادات أن يمنع رسول الله ﷺ المسلمين عن إعلان إسلامهم قولاً أو فعلاً، وأن لا يجتمع بهم إلا سرًّا؛ لأنه إذا اجتمع بهم علنًا فلا شك أن المشركين يحولون بينه وبين ما يريد من تزكية المسلمين وتعليمهم الكتاب والسنة»[(١)]. فكان من الحكمة الاختفاء، وكان ذلك بأمر من رسول الله ﷺ لعامة الصحابة، وأما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراني المشركين.

أول مدرسة للقرآن في الإسلام:

كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، الواقعة علىٰ الصفا هي أول مدرسة للقرآن في الإسلام، حيث كانت نواة طيبة لتعليم القرآن والسنة ومدارسة شئون المسلمين.

وكان النبي ﷺ يجتمع مع المسلمين سرًّا، نظرًا لصالحهم وصالح الإسلام، فالدار بعيدة عن أعين الطغاة ومجالسهم وكان اتخاذ النبي لها مركزًا للدعوة في السنة الخامسة من النبوة[(٢)].

أول من جهر بالقرآن:

كان عبدُ الله بن مسعود الهذلي قد أسلم قبل أن يدخل دار الأرقم وكان أول صادح بالقرآن بعد رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: وحدثني يحيىٰ بن عروة بن الزبير عن أبيه قال كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ[(٣)] بمكة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ - فقالوا: والله ما سَمِعَتْ قريشٌ هذا القرآنَ يُجْهَرُ لها به قَطُّ فمن رجل يُسْمِعُهُمُوه؟ فقال عبد الله بن مسعود

---

(١) الرحيق المختوم ص٨٩.

(٢) المرجع السابق نفسه بتصرف.

(٣) والحديث في الكتاب المصَنَّف لابن أبي شيبة، تح/ محمد عبد السلام شاهين ٧/ ٢٥١ دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٥م، وفيه: «وكان أول من أفشىٰ القرآن من في رسول الله ﷺ - ابن مسعود».

أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوه، قال: دعوني فإن الله سيَمنعني قال: فغدا ابن مسعود حتىٰ أتىٰ المقام في الضحىٰ وقريش في أنديتها، حتىٰ قام عند المقام ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» رافعًا بها صوته ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾[١]... إلخ القصة[٢].

القبائل التي عرض عليها الإسلام في العهد المكي:

قال الزهري: «وكان ممن يسمىٰ لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صَعْصَعة ومحارب بن خَصَفة وفُزَارة وغَسَّان ومُرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر، وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب وعذرة والخضارمة فلم يستجب منهم أحد»[٣].

وهذه القبائل التي سماها الزهري لم يكن عرض الإسلام عليها في سنة واحدة ولا في موسم واحد، وقد ذكر ابن إسحاق كيفية العرض وردودهم[٤] وقد اشتملت دعوتهم علىٰ قرآن يتلىٰ من فم النبي ﷺ.

وفود نجران:

وقد وفد علىٰ الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارىٰ نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتىٰ يروا صفاتِه مع ما ذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريبًا من ذلك فقرأ عليهم القرآنَ فآمنوا كلُّهم»[٥].

المؤمنون من غير أهل مكة:

وكما عرض رسول الله ﷺ الإسلام علىٰ القبائل والوفود عرض علىٰ الأفراد والأشخاص وحصل من بعضهم علىٰ ردود صالحة وآمن به عدة رجال منهم:

---

(١) الآيتان ١، ٢ من سورة الرحمن. (٢) إسنادها صحيح.

(٣) ينظر مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي ص١٤٩.

(٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٧ وما بعدها.

(٥) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص٤٥.

١ - سُويد بن صامت كان شاعرًا لبيبًا من سكان يثرب.

٢ - إياس بن مُعاذ. ٣ - أبو ذر الغِفاري.

٤ - طُفيل بنُ عمرُو الدَّوسي من قبيلة دَوس وكان لقبيلته إمارة في بعض نواحي اليمن.

٥ - ضماد الأزدي كان من أزد شنوءة من اليمن[١].

سفير الإسلام في المدينة المقرئ مصعب بن عمير:

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، والده عمير بن هاشم من أثرياء قريش وأمه خِنَاس بنت مالك، كانت تحبه حبًّا شديدًا، وتعتني به، وتكسوه أحسن اللباس، حتىٰ عرف بأنه أعطر شباب مكة.

كان من أوائل السابقين إلىٰ الإسلام، وكتم إسلامه خوفًا من أمه، وقومه، وكان يلتقي بالرسول ﷺ في دار الأرقم.

زوجته هي حمنة بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، بنت عم الرسول ﷺ[٢].

بعد أن تمت بيعة العقبة الأولىٰ وانتهىٰ الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير، في يثرب ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام ذلك هو مصعب بن عمير العبدي وكان مصعب يُعرف بالمقرئ[٣].

وباشر مصعب مهمته في تعليم القرآن والدعوة إلىٰ الإسلام، وإمامة المسلمين من الأوس والخزرج في الصلاة، وكان يأتي مصعب إلىٰ الأنصار في دورهم

---

(١) ينظر الرحيق المختوم من ص١٢٨ - ١٣١ باختصار.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد ٦/ ٣١١، وصفة الصفوة ١/ ١٧٨، وسير أعلام النبلا ١/ ١٤٥ والبداية والنهاية ٣/ ١٥١، الإصابة ٣/ ٤٠١.

(٣) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٤ (السقا).

فيدعوهم إلىٰ الإسلام، فأسلم منهم خلق كثير، وفشا فيهم الإسلام[١].

قال ابن شهاب: (كان مصعب أول من جمع الجمعة بالمدينة المنورة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ.

وقال ابن الجوزي: (كتب مصعب إلىٰ رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له، فجمع بهم في دار بني خيثمة)[٢].

«وأقام مصعب في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلىٰ الإسلام حتىٰ لم تبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون»[٣].

تعليق واستنتاج:

- رأينا فيما سبق أن قراءةَ القرآن ومدارستَه كانت متعلقةً بالدعوة ومراحلها فمع الشدة التي كان المسلمون فيها في بداية الدعوة لم يبتعدوا عن مدارسةِ القُرآن الكريمِ في مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم، تلك المدرسة التي تَخرَّج فيها أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ وهو عبد الله بن مسعود... فيا هل تُرىٰ بأي حرفٍ كان يقرأ القرآن وهو هُذَلي؟ أكان يقرؤه بحرف هذيلٍ[٤] بأمر من رسول الله ﷺ؟ أم كان يقرؤه بحرفٍ آخر عَلَّمه إياه رسولُ الله ﷺ؟ يُحتمل هذا وذاك!

- كما أن هذه المدرسة - أيضًا - تخرج فيها أول سفير في الإسلام مُصعب بن عمير - رضي الله عنه - الذي عُرف بالمقرئ لحسن قراءته وكثرة إقرائه لمن يريد التعلم والدخول في الإسلام.

ولم يكد مصعب يقرأ القرآن ويفسر الدعوة التي جاء بها رسول الله ﷺ حتىٰ دخل كثير من قبائل المدينة في الإسلام ونجح أول سفراء الرسول نجاحًا منقطعَ

---

(١) ينظر صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ١٧٨؛ تعليق عبد الرحمن اللاوقي، دار المعروفة بيروت - ١٤٢٠هـ.

(٢) المرجع السابق نفسه. (٣) المرجع السابق ص١٤١.

(٤) سيأتي الكلام عن الظواهر اللغوية للهجة هذيل.

النظير، نجاحًا هو له أهل، وبه جدير، تُرىٰ هل كان يقرأ مُصْعَبُ القرآنَ علىٰ كل الناس بأي حرف من الأحرف السبعة؟ يحتمل أن يكون قد تعلم من رسول الله ﷺ أكثر من حرف ولذلك اختاره سفيرًا إلىٰ يثرب «ليفقّه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة، ويَدخل غيرهم في دين الله ويُعِدَّ المدينة ليوم الهجرة العظيم.

وكان في أصحاب الرسول يومئذٍ من، هم أكبر منه سنًّا وأكثر جاهًا وأقرب من الرسول قرابة.

ولكن الرسول اختار «مُصْعَبَ الخيرِ» وهو يعلم أنه يَكِلُ إليه بأخطر قضايا الساعة ويُلقي بين يديه بمصيرِ الإسلام في المدينة التي ستكون دارَ الهجرة، ومُنْطَلَقَ الدعوةِ والدعاةِ»[1].

كما رأينا أن كثيرًا من القبائل قد عرض النبي عليها الإسلام وتلا عليها كثيرًا من القرآن!

كما عرض الإسلام علىٰ كثير من غير أهل مكة، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولا شك أن دعوةَ هؤلاء بلهجاتهم أوقعُ في النفوس وأولىٰ بالقَبول وأن قراءةَ القرآن عليهم بحرفٍ من الأحرف السبعة يتناسب ولهجتَهم - يكون أدعىٰ للسماع، وأرجىٰ للهداية من قراءته بحرفٍ آخر؛ ليبيِّن لهم.

وأن الفترة الأخيرة في الدعوة قبل الهجرة شهدت دخول بعض الأفراد والوفود في الإسلام، ولاسيما عَقِيبَ بيعةِ العقبةِ الكبرىٰ وكان هؤلاء الداخلون من خارج مكة، ولا شك أن لهجاتِهم كانت بغير لهجة قريش. مما يقوي احتمالَ دعوتهم بلسانهم، تيسيرًا لهم، وهذا يستلزم وجودَ أكثر من حرف من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم.

ونَخْلُص من هذا بأنه يُحتمل أن يكون إنزالُ القرآن علىٰ سبعة أحرف من أول

---

(١) رجال حول الرسول -ﷺ- للأستاذ خالد محمد خالد ص٣٦.

ما نزل في مكة وأن النبي ﷺ أقرأ به بعضَ الصحابةِ علىٰ أكثرَ من حرفٍ ولم يَحْدُث اختلافٌ بين الصحابة في ذلك كما حَدث في المدينة؛ نظرًا لحالةِ المسلمين في هذه الفترةِ وانشغالِهم بأمرِ الدعوةِ المحصورةِ في مكةَ.

وفي الحقيقةِ ليس هناك دليلٌ علىٰ وجودِ اختيارٍ في القراءةِ في فترةِ الدعوةِ المحمَّديةِ في مكةَ، والتي استمرتْ ثلاثَ عشرةَ سنة تقريبًا، ونزل فيها من القرآن الكريم أغلبُه.

ومع ذلك فإنَّنا نقولُ باحتمالِ وجودِ قراءاتٍ في مكةَ، وليس هناك ما يمنع، **والذي يدعونا إلىٰ هذا الاحتمال ما يلي:**

أولاً: مدةُ الدعوةِ المحمَّديةِ في مكةَ، ونزولُ أكثرِ القرآنِ فيها.

ثانيًا: دخولُ بعضِ القبائلَ في الإسلامِ من غيرِ أهلِ مَكَّةَ.

ثالثًا: أن التيسيرَ هو الهدفُ الأسمىٰ لنزولِ القرآن علىٰ سبعةِ أحرفٍ، وقد صَاحبَ هذا التيسيرُ نزولَ القرآنِ في مكةَ لحاجةِ الدعوةِ إليه، وإنْ كانتْ الحاجةُ إليه أشدَّ في المدينةِ. والله أعلم.

القراءات في العهد المدني:

بعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة المنورة وبناء المسجد، قويت شوكة المسلمين عما كانوا عليه في مكة من حصر الدعوة وتعذيب المسلمين، وانتشرت دعوةُ الإسلام في ربوع المدينة وما حولها ودخل كثير من الناس في دين الله أفواجًا، وتهيأ للبلاغ القرآني ما لم يكن له في مكة فتعددت صورُ تبليغ القرآن وطرق أدائه وقد كان النبي ﷺ يقرئ أصحابه في المسجد إما عن طريق الصلاة[1]

---

(١) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله - ﷺ - علىٰ الناس ثم حرم التجارة في الخمر وفي رواية أخرىٰ عنها أيضًا «لما أنزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة خرج رسول الله - ﷺ - فتلاهن في المسجد فحرم التجارة في الخمر» صحيح البخاري ٦/ ٤٠ط الشعب.

وإما عن طريق الإقراء عَقِيبَ نزول الوحي عليه في أي مكان هو فيه[١].

كما كان ﷺ يتلو القرآن علىٰ من يدعوه إلىٰ الإسلام[٢] كما كان ﷺ يعلم بعض أصحابه القرآن كما حدث لأبي بن كعب[٣] وعبد الله بن مسعود[٤] رضي الله عنهما.

وقد حفظ كثير من الصحابة القرآن الكريم، ذكر الذهبي منهم اثنىٰ عشر صحابيًا وهم:

«عثمان وعلي وأُبَي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسىٰ وأبو الدرداء ومعاذ وأبو زيد وسالم مولىٰ أبي حذيفة وابن عمر وعتبة بن عامر»[٥].

وقد علق أستاذنا الدكتور الموافي علىٰ ذلك بقوله:

«والعدد أوفر من هذا بكثير وما قاله الذهبي يحمل علىٰ أن هؤلاء هم الذين وصلت الذهبي الأسانيدُ بجمعهم القرآن وعرضهم إياه علىٰ النبي ﷺ دون غيرهم، وقد صرذح الذهبي بذلك[٦] وقد ثبت بالطرق المتواترة - كما يقول القرطبي - أنه جمع القرآن فيمن جمع: تميم الداري وعبادة بن الصامت وعبد الله ابن عمرو بن العاص وتظاهرت الروايات بأن الأئمةَ الأربعةَ جمعوا القرآن علىٰ

---

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أقبلنا من الحديبية مع رسول الله ﷺ فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي وكان إذا أتاه اشتد عليه فسُرِيَ عنه وبه من السرور ما شاء الله فأخبرنا أنه أنزل عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾ انظر البخاري كتاب التفسير باب سورة الفتح. وسنن الترمذي، كتاب التفسير باب ومن سورة الفتح ٥/ ٣٨٥.

(٢) وهذا ما حدث في مكة عندما دعا أبا بكر الصديق وغيره - ينظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٥٨ وما بعدها.

(٣) أخرج ابن سعد وأحمد والبخاري ومسلم وابن مردويه عن أنس قال: قال رسول الله -ﷺ- لأبي ابن كعب «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني السورة وقال وسَمَّاني لك؟ قال: نعم فبكى» **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي ٨/ ٥٨٦- دار الفكر.

(٤) رواه مسلم: فضائل الصحابة - باب فضائل عبد الله بن مسعود، الطبقات ٢ / ٣٤٢ الإصابة ٣/ ٣٦٩.

(٥) **معرفة القراء الكبار** ٢٤/ ١ - ٤٢.

(٦) المرجع السابق ٤٢/ ١

عهد النبي ﷺ لأجل سبقهم إلىٰ الإسلام وإعظام الرسول ﷺ[١] بل إن قَتْلىٰ بئر معونة سنة أربع من الهجرة كانوا سبعين يقال لهم القراء»[٢].

وقد ذكر أستاذنا الدكتور جبل أسماء من جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ ثم قال: «وبه أصبح عدد الذين ثبت أنهم حفظوا القرآن كله في حياة رسول الله ﷺ ثلاثة وعشرين»[٣].

وما يعنينا هنا ليس حصر عدد من حفظ القرآن كله في حياة النبي ﷺ بقدر ما يعنينا عناية الصحابة رضي الله عنهم بقراءة القرآن وحفظ ما أنزل منه.

وكما شهد العهد المدني اهتمام الصحابة بقراءة وحفظ القرآن، شهد أيضًا عنايتهم بالقراءات التي أنزل القرآن بها تيسيرًا لهم.

الاختيار والأحرف السبعة:

في العهد المدني، وفي حياة النبي ﷺ يختار بعض الصحابة من الأحرف السبعة حرفًا معينًا تعلمه من رسول الله ﷺ ويلزمه في قراءته وإليك الحديثَ كما جاء في البخاري «عن يونس بن شهاب قال: «أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها علىٰ حروف كثيرة لم يُقْرِئْنيها رسول الله ﷺ كذلك، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتىٰ سلَّم ثم لببته بردائه - أو بردائي - فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ قلت: له: كذَبت، فوالله إن رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير القرطبي ٤٩ بتصرف يسير.

(٢) مقدمة لدراسة القراءات القرآنية لأستاذنا الدكتور الموافي الرفاعي البيلي ص٧ ومعنى أن قتلى بئر معونة كانوا سبعين ويقال لهم القراء - أنهم كانوا يحفظون كل ما أنزل من القرآن إلى أن قتلوا سنة أربعة من الهجرة وليس معناه أنهم كانوا يحفظون القرآن كله لأنه لم يكن قد أنزل كله!!

(٣) وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته للدكتور جبل ص ٩٠.

أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان علىٰ حروفٍ لم تُقْرِئنيها، وأنت أقرأتني سورةَ الفرقان فقال رسول الله ﷺ: «أَرْسِله يا عمرُ، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرؤها، قال رسول الله ﷺ: «هكذا أُنزِلتْ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا عمر»، فقرأت فقال: «هكذا أنزلت» ثم قال: «إنَّ هذا القرآنَ أُنزِل علىٰ سبعةِ أحرفٍ فاقرؤا ما تيسر منه»[(١)].

وهناك عدة روايات لهذا الحديث جمعها بعض العلماء[(٢)]، أكتفي برواية أخرىٰ عن الإمام مسلم عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن علىٰ حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن علىٰ حرفين فقال: أسأل الله معافاته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن علىٰ ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن علىٰ سبعة أحرف، فأيما حرفٍ قرؤا عليه فقد أصابوا»[(٣)].

تعليق وتحليل:

لا ريب في أن القرآن الكريم بحروفه المتعددة نزل من عند الله رب العالمين، وأن تنوع حروفه يُعَدّ تيسيرًا علىٰ الأمة التي تختلف لغاتُ قبائلها، وأن اختيار

---

(١) رواه البخاري: كتاب استتابه المرتدين - باب ما جاء في المتأولين ٤/ ١٩٨- ١٩٩ وفي كتاب الخصومات - باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ٢/ ٦١، وكتاب فضائل القرآن - باب أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف ٣/ ٢٢٦، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ ٤/ ٣٠٨.

(٢) الدكتور حسن ضياء الدين عتر في كتابه **الأحرف السبعة** ومنزلة القراءات منها وفتحي بن الطيب خماس في كتابه الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات.

(٣) رواه مسلم - باب بيان أن القرآن علىٰ سبعة أحرف ١/ ٣٢٦.

قراءة بعينها لدىٰ بعض القراء فيه من طلب التيسير ما لا يخفىٰ، فما كان هذا الاختيار إلا لسبب أو أكثر يرجع في النهاية إلىٰ الغرض الأسمىٰ الذي أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف من أجله وهو التيسير.

ولقد وقف العلماء حيال هذا الحديث وقفة طويلة؛ لكي يفسروا المراد بالأحرف السبعة فمنهم من ذكر كثيرًا من الآراء[١] ومنهم من اكتفىٰ ببعضها[٢] وأنا أكتفي بذكر بعض الآراء الجديرة بالتأمل والتعليق:

١- رأي أبي عبيد[٣] في الأحرف السبعة:

يرىٰ أبو عبيد أن القرآن نزل علىٰ سبع لغات متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن، وغيرهم.

قال أبو عبيد:

«وليس المراد أن كل كلمة تقرأ علىٰ سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة اليمن، وغيرهم، وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبًا»[٤].

واستدل أبو عبيد علىٰ ذلك بما يلي:

١ - بما قاله عثمان للأربعة حين أمرهم بنسخ الصحف، قال عثمان رضي الله عنه: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا)[٥].

٢ - استدل - أيضًا - بقول ابن عباس رضي الله عنهما عندما قال: نزل القرآن بلغة

---

(١) مثل الإمام السيوطي في الإتقان ١/ ١٣١.

(٢) مثل ما فعل الأستاذ الدكتور الموافي في كتابه مقدمة لدراسة القراءات ص٧٥ وما بعدها.

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلَّام، أحد الأعلام، ذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، إمام أهل دهره، في جميع العلوم، صاحب سُنَّة، ثقة مأمون، توفي سنة ٢٢٤ هـ.

(٤) البرهان للزركشي ١/ ٢١٧ - ٢١٨ والإتقان ١ / ١٣٠ - ١٣٦.

(٥) تفسير القرطبي ١ / ٤٣-٤٤ وراجع الحديث في صحيح البخاري ٦/ ٩٩.

الكعبين: كعب قريش وكعب خزاعة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة.

قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

الرد عليه:

ردّ الشيخ الزرقاني عليه بقوله:

«ويُدْفع هذا القول علىٰ جميع آرائه بأمرين:

أحدِهما: أن في القرآن الكريم ألفاظًا كثيرةً من لغات قبائل أخرىٰ غير السبعة التي عدوها[1].

ثانيهما: أن توجيه هذا المذهب بما قاله أبو عبيد، يقتضي أن يكون القرآن أبعاضًا، منه ما هو بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل وهكذا، ولا شك أن ذلك غير محقق لحكمة التيسير الملحوظ للشارع الحكيم في نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف فإن هذا المذهب يستلزم أن كل شخص لا يمكنه أن يقرأ إلا البعض الذي نزل بلغته دون البعض الذي نزل بلغة غيره، وهذا باطل من ناحية، ومخالف للاختلاف الذي صَوَّرتْه لنا الرواياتُ السابقةُ بين الصحابة في القراءة من ناحيةٍ أخرىٰ، فإن المقروءَ فيها كان واحدًا لا محالة كسورة الفرقان بين عمرو وهشام وسورة من آل حم بين ابن مسعود وصاحبه، وقد صوب الرسول ﷺ قراءةَ كلٍ من المختلفين، وكلاهما قرشي»[2].

٢- رأي ابن قُتيبة وجماعة (أنها سبعة أوجه):

يرىٰ ابن قتيبة أن الأحرف السبعة هي الأوجه التي تتفاوت بها لغات العرب وعدتها سبعة طبقًا لما جاء في الحديث ثم ذهب في تحديدها إلىٰ تصنيف آخر، قال رحمه الله ما ملخصه:

«ثم إني تدبرت الوجوه التي تتخالف فيها لغات العرب فوجدتها علىٰ سبعة

---

(١) أورد أستاذنا الدكتور الموافي ما ذكره ابن سلام في كتابه (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم) زهاء أربعين لهجة عربية - انظر مقدمة لدراسة القراءات القرآنية ص٨٢.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٢٧-١٢٨.

أنحاء لا تزيد ولا تنقص بجميع ذلك نزل القرآن.

الوجه الأول: إبدال لفظ بلفظ آخر بمنزلته مثل الحوت والسمك وعُشْب وكلأ وحشيش، وفي القرآن: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فامضوا إلىٰ ذكر الله).

الوجه الثاني: إبدال حرف بحرف بمنزلة قولهم:

أعطيت ومن العرب من يقول: أنطيت، وقهرني وكهرني وفي القرآن «الصراط» قرئ بالصاد والسين جميعًا.

الوجه الثالث: تقديم وتأخير إما في الكلمة وإما في الحروف.

فأما في الكلمة فذلك شائع في سائر العرب، تقول: سلب زيد ثوبه وسلب ثوبه زيد وكقولهم عرضت الناقة علىٰ الحوض وعرضت الحوض علىٰ الناقة ولعل بعض العرب ألزم في أمثال هذه تقدم لفظه وبعضهم تقدم أحرف فيكون ذلك اختلافًا في اللغة من هذا الوجه وفي القرآن ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[2] وهي قراءة العامة، وقرئ أيضًا «الظالمون» وقرئ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ علىٰ أن الفعل لآدم وقرئ بنصب «آدم» ورفع «كلمات» علىٰ أن الكلمات هي التي تلقته.

وأما في الحروف: كقولهم: صعق وصقع، وجبذ وجذب، وفي القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ و(أفلم يأيس) و﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍ﴾ و(عذاب بيئس).

الوجه الرابع: زيادة حرف أو نقصانه:

وذلك بمنزلة من يقول من العرب: تعرفينه وتعطينه وماليه، وفي القرآن: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾[3].

الوجه الخامس: اختلاف حركات البناء:

---

(١) من الآية ٩ من سورة الجمعة.
(٢) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٢٨ من سورة الحاقة.

مثل قول بعض العرب في الجواب: نَعَم بفتح العين وبعضهم يقول: نِعم بكسرها ومثل البُخْل والبَخَل والكِبْد والكَبِد، ومنه إشمام بعضهم الضمة في قوله: وإذا قيل، وغيض ونحوه.

الوجه السادس: اختلاف الإعراب:

من نحو قول الهذلي: ما زيد حاضر قال الله تعالىٰ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ وقرأ ابن مسعود علىٰ لغة هذيل: (ما هذا بشر).

الوجه السابع: هو إشباع الصوت بالتفخيم والإظهار أو الاقتصاد به بالإضجاع والإدغام وأكثر الإضجاع في لهم، ولغة الحجاز علىٰ التفخيم[1].

وعلىٰ رأي ابن قُتَيبة فسّر جماعة من العلماء الأحرف السبعة بأنها سبعة أوجه، ولهم في ذلك اجتهادات مختلفة في تحديد هذه الأوجه، ويرد عليه بأمور منها: أن من كلمات القرآن ما قرئ علىٰ أكثر من سبعة أوجه كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2] و﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾[3].

رأي أبي القاسم الهذلي:

بعد أن ذكر الهذلي آراء العلماء في المراد بالأحرف السبعة قال:

«والصحيح الذي نذهب إليه أن هذه السبعة الأحرف أنزلت علىٰ رسول الله ﷺ ثم لما انتهت إلىٰ العلماء اتبع كل واحد منهم ما أقرئ به، حتىٰ إن بعضهم قال: هذا الاختلاف في حرف واحد، والستة لا يعلمها إلا رسول الله ﷺ... والصحيح أن هذه السبعة إنما هي هذه القراءات التي جاءت بها الآثار عن رسول الله ﷺ ولا

---

(١) ينظر النص بطوله في مقدمة كتاب المباني ص٢٢١ - ٢٢٨، والنشر ١/ ٢٥، بتصرف.

(٢) من الآية ٦٠ من سورة المائدة، وفيها تسع وثلاثون قراءة - ينظر معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ٢ / ٣٠١- ٣١٢.

(٣) من الآية ١١٧ من سورة النساء، وفيها عشر قراءات، ينظر معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ٢/ ١٥٦، ١٥٧.

يختص بهذه الأئمة السبعة، بل هي لغات متفرقة في العرب وأبنية، هي معانٍ متفرقةٌ ومختلفة، يَدل علىٰ الأحكام، منها قراءة تدل علىٰ حكم وأخرىٰ تدل علىٰ حكم آخر، مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ﴾ «أو لمستم» أحدهما يدل علىٰ اللمس والثاني يدل علىٰ الجماع، ومثل هذا كثير علىٰ تباين الألفاظ واختلاف الصيغ، ما لم يخالف المصاحف التي اجتمعت عليها الصحابة وأنفذها عثمان رضي الله عنه إلىٰ البلدان الخمسة وأجمعوا أن ما عدا هذه المصاحف يجوز إحراقه وغسله، وليس بقرآن، وما اختلف فيه أهل هذه المصاحف من الهجاء والأبنية والزيادة والنقصان والبدل والحركات والمعاني والأحكام فهذا كله يجتمع في هذه القراءات المروية»[1].

توضيح رأي الهذلي:

بدأ الهذلي رأيه بدايةً طيبةً، حيث جعل معنىٰ الأحرف السبعة في رأيه - يشمل كل القراءات التي قرأ بها رسول الله ﷺ ورواها الأئمة عنه بسند صحيح ثم احْترس بأن هذه الأحرف غير مختصة بالأئمة السبعة بل هي لغات متفرقة في العرب وأبنية مختلفة ولكنها لا تخرج عن المصاحف العثمانية، فكأنه في النهاية أراد أن يجمع رأي من قال بأنها لغات متفرقة، ورأي من قال بأنها سبعة أوجه ولكنه لم يصرح بذلك، ويفهم من كلامه أن العدد (سبعة) غير مراد به حقيقته وإنما المراد به الكثرة.

رأي الباحث في الأحرف السبعة:

سبقني في هذا المجال علماء أجلاء قدماء ومحدثون، وآراؤهم جديرة بالتأمل والدراسة، ومن الآراء التي وقفت عندها طويلاً: رأي أبي عبيد القاسم بن سلام - قديمًا - ورأي أستاذنا الدكتور الموافي - حديثًا. أما رأي أبي عبيد فقد سبق ذكره.

---

(١) الكامل ص٦٤ تصحيح الدكتور خاطر (مخطوط) وهو منسوخ من نسخة المكتبة الأزهرية، ومنه نسخة أخرى مصورة بمكتبة كلية القرآن الكريم.

وأما رأي الدكتور الموافي فإليك بيانَه باختصار:

قام - أولاً - بتحليل ألفاظ الحديث لغويًّا وهي (أُنـزِل - القـرآنُ - سـبعة أحرف) وبين أن لفظ الإنزال ومشتقات التركيب لا يخرج عن معنىٰ الهبـوط مـ عُلُوٍّ إلىٰ سُفْلٍ، والقرآن يدور تركيبه حول الجمع والاجتماع، ولفظ السبعة الوارد في الحديث تدل علىٰ الاتساع والكثرة وليس المراد منها العدد المحدد، وَرَدَّ علىٰ مـ يوهم بأن هذا يتعارض مع ظاهر بعض الروايات (ففي حديث أبي بكرة: فنظرت إلىٰ ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة).

قال السيوطي: «فهذا يدل علىٰ إرادة حقيقة العدد وانحصاره»[(١)].

رد علىٰ ذلك بأمرين:

الأول: ما ذكره بعض الباحثين من أن عبارة: فعلمـت أنـه قـد انتهـت العـد مدرجةٌ في الحديث.

الثاني: علىٰ فرض أنها من الحديث فليس فيها دليل قطعي علىٰ انحصار العـد في السبعة، لأن الغاية من حـديث الأحـرف الـسبعة التخفيـف والتيـسير بـتلاو القرآن بقراءاته الكثيرة، والتيسير حاصل بقراءاته علىٰ قراءتين أو ثـلاث فـما زاد، فَلِمَ وقف بالعدد عند رقم سبعة دون غيره؟ فالوقف بالعدد عند الـسبعة بالـذات لدلالته علىٰ التكثير، فكأنه اكتفىٰ بالسبعة عن الثمانيـة والتـسعة والعـشرة فـما زاد ومعنىٰ التكثير هو الذي نأخـذ بـه في الحـديث، ومعنـىٰ الحـرف في الحـديث أي القراءة يقال فلان يقرأ بحرف ابن مسعود مثلاً أي بقراءته[(٢)].

ومعنىٰ الحديث عند الدكتور الموافي: أن القرآن أنزل من عند الله عـلىٰ قـراءات كثير، كلها بوحي من الله تعالىٰ[(٣)].

---

(١) الإتقان ١/ ١٣٢. (٢) الطبري ١/ ١٧، والإبانة ٢٩.

(٣) مقدمة لدراسة القراءات القرآنية للدكتور الموافي الرفاعي البيلي -٨٢-٩١.

هذا هو رأي أستاذنا باختصار - وإني لأوافقه في أن القراءات في عهده ﷺ كانت وحيًا من الله وتلقينًا من جبريل وإبالغًا من النبي ﷺ، «وأن ما ذهب إليه بعض العلماء من أن الحديث كان مقصورًا به التوسيع علىٰ المسلمين أول الأمر بأن يقرؤا القرآن علىٰ حسب ما طاوعتهم ألسنتهم بإبدال كلمة مكان أخرىٰ بحجة أن الأُمَّةَ أُمِّيَّةٌ وفيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام، أو يقرؤه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها، بحجة أنهم لا يحسنون غيرها فلم يُكَلَّف أحدٌ منهم الانتقال عن لغته إلىٰ لغة أخرىٰ للمشقة - كل هذا لا حجة فيه - كما قال أستاذنا - لأن المسلمين كان لديهم فسحة في أن يختاروا من القراءات المختلفة، أي: من الأحرف السبعة ما يناسب ألسنتهم ولم يكن عليهم في ذلك حرج، والعربي قد ينتقل لسانه من لهجته إلىٰ لهجة أخرىٰ فيستعملها - كما ذكر ابن جنى[1]، أفيصعب عليه نطق لفظة من لهجة عربية غير لهجته في القرآن؟

كما أوافقه في أن الأمر في قراءة القرآن أمر إتاحة في اتباع القراءة، لا أمر إباحة في اختراع قراءة، حتىٰ لا يَظُنَّ ظانٌّ أن المسلمين في أول أمرهم كانوا يتعبدون بقرآن اخترعوه تيسيرًا، ثم نسخه الله وأقر قرآنه، نعوذ بالله من مثل هذا القول»[2].

فهذا القول يشمل أوجه الخلاف جميعها سواء أكانت لهجيةً أم غير ذلك. ورأي أبي عبيد السابق عليه اعتراضات من جهات كثيرة كما مرّ.

بيد أن الإمام الآلوسي دافع عنه بقوله:

«قال السيوطي بعد نقل هذا القول، وذِكْرِ ما له وما عليه، وبعد هذا كله هو مردود بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة، وقبيلة واحدة، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته فدل علىٰ أن

---

(١) ينظر الخصائص ٢ / ١٢ - ١٣.

(٢) ينظر مقدمة لدراسة القراءات القرآنية للدكتور الموافي ص٨٨، ٨٩ باختصار.

المراد بالأحرف السبعة غير اللغات ويأليت شعري - والكلام للآلوسي - أدَّعَى أحد من المسلمين أن معنىٰ إنزال القرآن علىٰ هذه السبع من لغات هؤلاء العرب أنـ أنزل كيفما كان؟ وأنهم هم الذين هَذَّبوه بلغاتهم ورشحوه بكلماتهم بعد الإذن لهـ بذلك؟ فإذًا لا تختلف أهل قبيلة واحدة في كلمة ولا يتنازع اثنان منهم فيها أبدًا، أ أن الله تعالىٰ شأنه ظهر كلامه في مرايا هذه اللغاتِ علىٰ حسب ما فيها من المزاي والنكات، فنزل بها وحيه وأدَّاها نبيه - صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم - ووعاها أصحاب فكم صحابي هو من قبيلة وعَىٰ كلمة نزلت بلغة قبيلة أخرىٰ، وكلاهما من السبع وليس له أن يغير ما وعىٰ، بل كثيرًا ما يختلف صحابيان من قبيلة في الرواية عـ رسول الله - صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم - وكل من روايتهما علىٰ غير لغتهما كل ذلك اتباعًا لما أنزل الله وتسليمًا لما جاء به رسول الله - صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم -، وقـ ينفي صحابي غير روايته وينكر رواية غيره وكل ذلك يدل علىٰ أن مرجع السبـ الرواية لا الدراية، فرد الإمام السيوطي لا أدري ماذا أراد منه، وما الذي أسكت عنه، فها هو ذا بين يديك فاعمل ما شئت فيه وسلام الله تعالىٰ عليك»[1].

جزاك الله خيرًا يا شيخنا، أن أبحت لنا ذلك، ولولا أن هناك سؤالاً يعترضني الآن لأخذت برأيك كُلِّه ولم أَتْرُكْ منه شيئًا - وهذا السؤال هو: هل كلا خلاف القراءات كان مرده إلىٰ اللهجات؟ وحتىٰ لا نسارع بالنفي، إليك مثالاً تطبيقيًّا مِمَّا هـ جزء من الأحرف السبعة وهو ما جاء في سورة الفاتحة من قراءات وقد قسمت قسمين، اختلاف القراء فيما هو من اللهجات، واختلافهم فيما هو في غير اللهجات.

أولاً: اختلافهم فيما هو من اللهجات ففي الكلمات الآتية:

١ - ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ - قرئ (بسُمَىٰ الله) علىٰ وزن هُدىٰ وهو لغة في الاسم.

٢ - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ - قرئ (الحمدُ لله) (الحمدِ لله) (الحمدَ لله)

---

(١) روح المعاني للآلوسي ١/ ٢١.

(الحمد لاه)[1]، (لله بإمالة الألف).

٣ - ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - قرئ (بإمالة الألف) و (العألمين) بالهمز.

٤ - ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ - قرئ (بإمالة الألف).

٥ - ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ملك قرئ (بالإدغام).

٦ - ﴿مَٰلِكِ﴾ قرئ (مَلْك بفتح فسكون) و (مِلْك) بكسر فسكون (مَلكي بالإشباع) (مالك بالإمالة) (مليك).

٧ - ﴿ٱلدِّينِ﴾ (الوقف بروم الحركة).

٨ - ﴿إِيَّاكَ﴾ قرئ (أيّاك بفتح الهمزة وبتشديد الياء) و (إياك بالكسر بالتخفيف) و(هِيَّاكَ) و(هَيّاك) و(إيّاك بالإمالة).

٩ - ﴿نَعْبُدُ﴾ قرئ (نعبدْ بالإسكان) و(نِعبد بكسر النون).

١٠ - ﴿وَإِيَّاكَ﴾ (وأيّاك) و(إيّاك بالإمالة).

١١ - ﴿نَسْتَعِينُ﴾ قرئ (نِستعين بكسر النون) (نستعينوا) بالإشباع، بالروم في الوقف).

١٢ - ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ قرئ (السراط بالسين) و(الزراط بالزاي) و(بإشمام الصاد زايًا) و(بإشمام الصاد السين).

١٣ - ﴿صِرَٰطَ﴾ قرئ (صراط لذين) بلام واحدة.

١٤ - ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قرئ (عليْهُمْ، عليهِمي، عليهِم، عليهِمُو، عليهِمُ، عليْهُمُ، عليهُمُو، عليهُمي، عليهُمَ).

١٥ - ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قرئ (ولا الضألين) بالهمز المفتوحة.

ثانيا: اختلافهم فيما هو في غير اللهجات ففي الكلمات الآتية:

١ - ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ - قُرئ برفعهما ونصبهما على القطع.

---

١) قراءة لبعض الأعراب كما في اللسان (أله) ١/ ١٨٩.

٢ - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ - قرئ (الحمدَ لله) بالنصب علىٰ إضمار فعل.

٣ - ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - قرئ (ربَّ العَالمين) بالنصب و(ربُّ) بالرفع.

٤ - ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ - بالنصب وبالرفع.

٥ - ﴿مَٰلِكِ﴾ - قرئ (مَلِك بدون ألف، مَلِكَ بالنصب، مَلِكُ بالرفع وملَكَ يومَ الدين، مالكَ بالنصب، مَلِكًا، مالكٌ يومَ، مالكُ يومِ، مَلّاك، مليكُ).

٦ - ﴿نَعْبُدُ﴾ - قرئ (يُعبَدُ، تُعبَد).

٧ - ﴿ٱهْدِنَا﴾ قرئ (أرشدنا، بصِّرنا).

٨ - ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ المستقيم قرئ (اهدنا صراطًا مستقيمًا)، (صراطَ مستقيم).

٩ - ﴿صِرَٰطَ﴾ الذين قرئ (صراط مَن أنعمت عليهم).

١٠ - ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ قرئ (غيرَ بالنصب، غيرُ بالرفع).

١١ - ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قرئ (وغير الضالين)[1].

ملاحظات ونتائج:

١ - يلاحظ أن من القراءات ما هو مَرَدُّه إلىٰ اللهجات وهو القسم الأول.

ومنها ما هو مرده إلىٰ الإعراب كما في الكلمات (١، ٢، ٣، ٤) من القسم الثاني.

ومنها ما يكون الاختلاف في الصيغ مثل (مالك وملك).

ومنها ما يكون الاختلاف في المرادف مثل (اهدنا، أرشدنا، بَصّرنا).

ومن هنا فإن القول بتفسير الأحرف السبعة بأنها القراءات المتعددة قول سديد يدخل تحته كل أنواع الاختلاف المأثور في القراءات، ولا يحدد العدد بالرقم (٧) بل يطلقه ليشمل كل قراءة كانت علىٰ عهد رسول الله ﷺ.

ولا يَغُرَّنَّك جمعُ القلة الموجود في الحديث (أحرف) فإنه جاء مراعاة للفظ سبعة لا لمعناها كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْـ

(١) انظر هذه القراءات في معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ١ / ٣- ٢٤.

يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[1].

٢ - يلاحظ التكلف الواضح في تفسير الأحرف السبعة بسبعة أحكام أو سبع لغات، أو سبعة أوجه، من ذلك رأي الإمام الرازي الذي ذكر اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية ثم ذكر الاختلاف في الإبدال ثم ذكر الاختلاف في الزيادة والنقص مع أنها كلَّها من قبيل الاختلاف في التصريف... فكيف يصل العدد إذن إلىٰ سبعة؟

٣ - أنه من التكلف الوقوف عند رأي واحد منها علىٰ أنه الصحيح وما عداه خطأ؛ حيث يمكن أن تكون الآراء الأخرىٰ مجتمعةً داخلةً في مفهوم الحديث صالحةً لتفسيره، فأصول القراءات داخلة في مفهوم الأحرف السبعة، ووجوه الإعراب والتصريف كذلك، واختلاف لغات العرب كذلك، ليتأتىٰ التيسير، وكذا اختلاف الأحكام الشرعية وتنوع الأساليب، والله أعلم.

ثانيا: القراءة في عهد الخلفاء الراشدين:

١ - في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه:

ما إن تولىٰ أبو بكر الصديقُ الخلافةَ حتىٰ واجَهْتْهُ أحداثٌ شداد، ومشاكلُ صعاب، منها حروب الردة التي وقعت بين المسلمين وغيرهم من القبائل المرتدة عن أتباع مسيلمة الكذاب في معركة اليمامة سنة ١٢ هـ، التي استشهد فيها من القراء وحفظة القرآن ما يزيد علىٰ سبعين رجلاً، وقد هال ذلك المسلمين، وعز الأمر علىٰ عمرَ بنِ الخطاب، فدخل علىٰ أبي بكر وأخبره الخبر، واقترح عليه أن يجمع القرآن، خشية الضياع بموت الحُفَّاظ، فماذا حدث من أبي بكر رضي الله عنه؟

نترك الإجابة لزيد بن ثابت رضي الله عنه يحكي لنا ما حدث.

يروي البخاري في صحيحه أن زيدَ بن ثابت رضي الله عنه قال: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتلَ

---

[1] الآية ٢٧ من سورة لقمان.

أهل اليمامة (أي: عقب استشهاد القراء في واقعة اليمامة) فإذا عمرُ بنُ الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: «إن عمرَ أتاني فقال: إن القتل استحرَّ[1] يوم اليمامة بقراء القرآن إني أخشىٰ أن يستحرّ القتل في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يَزل يراجعني حتىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأىٰ عمر، قال زيد: قال أبو بكر إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فَتَتَبَّعِ القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نَقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مِمَّا أمرني به من جمع القرآن[2].

قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ قال: هو والله خيرٌ فلم يَزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب[3] واللِّخَاف[4] وصدور الرجال»[5].

علامَ يدل حديث زيد؟ إنه يضع تحت أيدينا الحقائق التالية:

أولاً: «أن أبا بكر رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن الكريم بالأحرف السبعة التي نزل بها وإليه تنسب الصحف البكرية وكان ذلك بعد وقعة اليمامة التي كان انتهاؤها سنة اثنتي عشرة للهجرة فجمعه للقرآن كان في سنة واحدة تقريبًا[6].

---

(١) استَحَر: أي: اشتد، ينظر اللسان (حرر) ٣ / ١١٦ ط / دار إحياء التراث العربي. ط/ الزولىٰ ١٩٩٦ م.

(٢) استثقاله لهذا الأمر لم يكن من جهة ما يحصل له من المشقة والتعب، وإنما كان خوفًا من إقدامه علىٰ أمر لم يفعله رسول الله -ﷺ-، لم يأمر به، فلما ظهرت له المصلحة في ذلك أقدم عليه بهمَّة ونشاط، وينظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه للكردي ص٢٤ ط/ الأولىٰ ١٩٤٦ م.

(٣) العُسُب، بضمتين جمع عسيب وهو جريد النخل إذا نُحِّي عنه خوصه، اللسان (عسب) ٩/ ١٩٧.

(٤) اللِّخَاف: جمع لَخْفة: بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الدقاق، اللسان (لخف) ١٢/ ٢٦١.

(٥) الحديث رواه البخاري ٣/ ٢٢٥، باب جمع القرآن، والرواية في الإتقان ١/ ١٦٨.

(٦) وكان ذلك بتوفيق الله وعنايته بالصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله -رضي الله عنهم-.

ثانيًا: لم يحرص كبار الصحابة علىٰ أن يكون لدي كل واحد منهم نسخة لأن أبا بكر جمع القرآن خوفًا من ذهاب حملته بَقتلهم في الغزوات ولم يكن جمعه للقرآن لحدوث خلل في قراءاته، فلم يكن هناك داعٍ لحمل الناس علىٰ مصحفه»[١].

ثالثًا: «اختصاص زيد بهذا الجمع لم يجئ اعتباطًا بدون روية، فزيد كما ينص خبره الذي ساقه، وصفه أبو بكر بصفات لها علاقة قوية بالتوثيق، فهو شاب وفي الشباب قدرة علىٰ تحمل الأعباء، وفيه كذلك ذاكرة قوية، وليس الشباب وحدَه كافيًا في هذا المجال الخطيرِ فأضاف إليه أبو بكر صفة العقل الذي يُحكِم الأمور ويضعُها في نصابها في رَوْيَةٍ وإتقان.

وبالإضافة إلىٰ هذه الصفات فزيد غير مشكوك فيه، منزه عن الاتهام في دينه، وهذه حيطة ليس بعدها حيطة من الخليفة أبي بكر في مجال توثيق النص القرآني، وفضلاً عن ذلك فإن اختيار رسول الله ﷺ لزيد كاتبًا وحيه تتويج لهذه الصفات التي خلعها أبو بكر علىٰ زيد»[٢].

يضاف إلىٰ ذلك أنه شهد العرضة الأخيرة[٣].

ويعلق الدكتور هيكل علىٰ اختيار سيدنا زيد لهذه المهمة بقوله:

«ولعل أبا بكر قد اختار زيدًا وآثره علىٰ غيره من أصحاب رسول الله ﷺ لأنه شاب فهو أقدر علىٰ العمل منهم[٤] وهو لشبابه أقل تعصبًا لرأيه واعتزازًا بعلمه، وذلك يدعوه إلىٰ الاستماع لكبار الصحابة من القراء والحفاظ والتدقيق في الجمع دون إيثار لما حفظه هو، وإن كان المتواتر أنه حضر العرضة الأخيرة للقرآن حين

---

(١) ينظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد طاهر الكردي ص٢٨، بتصرف.

(٢) مقدمة معجم القراءات القرآنية للأستاذين عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر ص٩.

(٣) ينظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص٣١.

(٤) كان عُمْرُ سيدنا زيد حين كتب مصحف أبي بكر نحو اثنين وعشرين سنة، وكان عُمْرُه حين كتب مصحف عثمان نحو خمس وثلاثين سنة.

عرضه رسول الله ﷺ على جبريل للمرة الثانية في السنة التي كانت فيها وفاته»[١].

ولكن الجاحظ - بحكمته الواعية - يعطينا علة جديرة بالتأمل فيقول: «رأوا أن قراءة زيد أحق بذلك؛ إذ كانت آخر العرض؛ ولأن الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممَّن سمع أوله، فحملوا الناس على قراءة زيد دون أبي وعبد الله، وإن كان الكل حقًّا، إذ كان رُبّ حق في بعض الزمان أقطع للقيل والقال، وأجدر أن يميت الخلاف، ويحسم الطمع فتركوا حقًّا إلى حقٍ العملُ به أحق، ولو أن فقيهًا رأى إطباقَ العلماء على صوم يوم عرفة، واستنكارَهم الإفطار فيه فأفطر، وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة أو خاف أن يلحق الفرض على تطاول الأيام ما ليس فيه مصيبًا ولكان قد ترك حقًّا إلى أحق منه، وللحق درجات»[٢].

رابعًا: أن هذا الجمع البكري يحتمل أن يكون له علاقة بالاختيار في القراءة وذلك إذا وضعنا في الاعتبار - ما ذكرنا من سر اختيار زيد لهذه المهمة وأنه شهد العرضة الأخيرة، فكأن أبا بكر رضي الله عنه أراد مع جمع النص القرآني من العُسُب واللِّخاف وما إلى ذلك - جمعه بالقراءات التي استقرت في العرضة الأخيرة دون ما نُسِخَتْ تلاوتُه، ودون ما قرئ به في أول الأمر من نحو قراءة (فامضوا إلى ذكر الله) بدلاً من (فاسعوا إلى ذكر الله)، وقراءة (كالصوف المنفوش) بدلاً من (كالعهن المنفوش). والله أعلم.

٢ - في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«لاشك في أن المصحف قد اكتمل جمعه قبل وفاة الصديق؛ إذ إن الروايات تشير إلى أن المصحف أُودعت عنده بقيةَ حياته، ثم انتقلت إلى الخليفة الجديد من بعده.

وتشير الروايات إلى أن كتابة القرآن في خلافة عمر قد أخذت تتسع استجابة

---

(١) الصديق أبو بكر للدكتور محمد حسين هيكل ص٣٢١ - الطبعة الأولى.

(٢) مختارات فصول الجاحظ - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٢٤٠٦٩ والاقتباس من تاريخ القرآن ص١٠٧ للدكتور عبد الصبور شاهين.

لحاجة الناس إلىٰ تعلمه، خاصةً أن الفتوح قد امتدت وكثر الداخلون في الإسلام، وازدادت حاجتهم إلىٰ معرفة تعاليم الدين، فظهرت المصاحف في الأمصار من إملاء كبار الصحابة، الذين كانوا يعلمون القرآن هناك، فكان عبد الله بن مسعود يملي المصاحف في الكوفة في خلافة عمر[١]، وبذلك ازدادت المصاحف التي كتبها الصحابة وعامة المسلمين في خلافة عمر وربما كانت تتضمن بعض آثار رخصة الأحرف السبعة التي يسر الله علىٰ الأمة في قراءة القرآن»[٢].

اختيار سيدنا عمر بن الخطاب:

ذكر ابن حجر العسقلاني[٣] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر علىٰ ابن مسعود قراءته «عتىٰ حين» أي (حتىٰ حين) وكتب إليه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، وكان ذلك قبل أن يجمع الناسَ عثمانُ علىٰ قراءة واحدة.

قال ابن عبد البر بعد أن أخرج قول عمر من طريق أبي داود بسنده: «يحتمل أن يكون هذا من عمر علىٰ سبيل الاختيار، لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز. قال: إذا أبيحت قراءته علىٰ سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل»[٤].

رأي سيدنا عمر بن الخطاب في اختيار أبي بن كعب:

في كتاب المصاحف للسجستاني[٥] قال:

«**والألحان**: اللغات، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنا لنرغب عن كثير من لحن أبي يعني لغة أبى». اهـ.

---

(١) ينظر ابن أبي داود ص١٣٧.

(٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخيه لغانم قدوري الحمد ص١٠٦.

(٣) فتح الباري ٩/ ٢٣.

(٤) ينظر الكلم الحسان ص٢٠.

(٥) المصاحف ص٤١ - دار الكتب العلمية بيروت.

٣ - في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه:

أما جمع القرآن في عهد عثمان، فقد كان له سبب آخر غير السبب الذي حدث في عهد أبي بكر، فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان وتفرق المسلمون في الأقطار والأمصار، واشتهر في كل بلد من البلاد الإسلامية قراءة الصحابي الذي علمهم القرآن، فأهل الشام كانوا يقرؤن بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة كانوا يقرون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم كان يقرأ بقراءة أبي موسىٰ الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءات، حتىٰ كاد الأمر يصل إلىٰ النزاع والشقاق بينهم، وكاد بعضهم يكفر بعضًا بسبب اختلاف القراءة[1].

وقد كفانا أستاذنا الدكتور الموافي مؤنة البحث في هذا الموضوع، فذكر الروايات التي تبين الأسباب الدافعة للجمع العثماني وما يؤخذ منها وهذا ملخص لما ذكر فضيلته:

١ - «أن سبب الجمع (العثماني) إنما كان رأب الصدع وجمع الشمل وحسم الخلاف بعد أن اختلف الناس في القراءة حتىٰ بلغ الأمر بهم ما بلغ.

٢ - أنه قد تظاهرت حوادث الاختلاف بين القراءة وتعاصرت في عهد عثمان فهناك اختلاف في القراءة بين أهل العراق وأهل الشام في فتح أرمينية وأَذْرَبِيجَان، وهناك اختلاف بين المتعلمين امتد إلىٰ المدينة، حتىٰ بلغ الأمر إلىٰ تكفير القُرّاء بعضهم بعضًا وكفر بعضهم بقراءة بعض.

٣ - أن الثُّلة التي كلفها عثمان بكتابة المصاحف ضمت أنصاريًّا هو زيد بن ثابت وقرشيين ثلاثة هم: عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان اختيار زيد لأنه أكتب وسعيد لأنه أعرب، وربما كان إضافة ابن الزبير وعبد الرحمن - وهما من أهل الحفظ والضبط والمعرفة، للمعاونة، لكي «ينضم العدد

---

(١) ينظر في ذلك مناهل العرفان ١ / ١٧٨ بتصرف.

إلىٰ العدالة وإلا فقد كان زيد قادرًا بذاته علىٰ هذه المهمة»[١].

٤ - كان منهج عثمان في كتابة المصحف قائمًا علىٰ ما يلي:

(أ) أن اللجنة المُشَكَّلة لذلك كان أعضاؤها من الحفاظ وبرئاسة زيد بن ثابت أشهر من كتب للنبي ﷺ الوحي، وكان قد شهد العرضة الأخيرة فوقف علىٰ ما نسخ وما أثبت، وكتب المصحف لأبي بكر من قبل، فله في ذلك سابقة.

(ب) لم يكتفِ عثمان بحفظ زيد - وهو من هو - ولا بحفظ سائر أعضاء اللجنة، بل ضم إلىٰ ذلك ما أتىٰ به الناس من القرآن المكتوب، شاهدين علىٰ أنهم سمعوه من النبي ﷺ وهو الذي أملاه عليهم[٢].

مصحف سيدنا عثمان وعلاقته بالاختيار:

اختلف العلماء حول اشتمال المصاحف العثمانية علىٰ جميع الأحرف السبعة أو علىٰ بعضها حيث يقول ابن الجزري:

«وأما كون المصاحف العثمانية مشتملة علىٰ جميع الأحرف السبعة، فإن هذه مسألة كبيرة اختلف العلماء فيها، فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلىٰ أن المصاحف العثمانية مشتملة علىٰ جميع الأحرف السبعة وبَنوا ذلك علىٰ أنه لا يجوز علىٰ الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل بها، وقد أجمع الصحابة علىٰ نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر وإرسال كل مصحف منها إلىٰ مصر من أمصار المسلمين وأجمعوا علىٰ ترك ما سوىٰ ذلك، قال هؤلاء ولا يجوز أن ينهىٰ عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ولا أن يجمعوا علىٰ ترك شيء من القرآن، وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلىٰ أن هذه المصاحف العثمانية مشتملةٌ علىٰ ما يحتمله رسمُها من

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن ٤٩.

(٢) مقدمة لدراسة القراءات القرآنية للدكتور الموافي ص٢٠، ٢١.

الأحرف السبعة فقط جامعةٌ للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ علىٰ جبرائيل عليه السلام متضمنةٌ لها لم تترك حرفًا منها»[١].

ولاشك أن هذا الرأي أقرب إلىٰ المنطق من الرأي الأول وذلك لعدة أسباب:

١ - أن الأحرف السبعة التي تردد ذكرها تعني القراءات الكثيرة التي سُمعت من النبي ﷺ والتي سجلها كبار الصحابة علىٰ قلوبهم عن طريق الحفظ، وعلىٰ قراطيسهم عن طريق الكتابة.

٢ - هناك قراءات قوية السند، ولكنها لم تشتمل عليها العرضة الأخيرة وبقيت في محفوظ الصحابة وفي مصاحفهم، وربما لم يكونوا مستوعبين للعرضة الأخيرة، ونقلت عن هؤلاء الصحابة هذه القراءات مع قراءات منسوخة لا تتجاوز دائرة الآحاد أي: لم تبلغ حد التواتر.

٣ - «لو كان مصحف عثمان مشتملاً علىٰ هذه الأحرف السبعة ما كان هناك داعٍ لكتابته من جديد فقد كتب ليسد باب الفتنة من كثرة هذه القراءات وليجمع المسلمين علىٰ مصحف واحد مشتمل علىٰ القراءات المتواترة كما نقلت من مصحف أبي بكر أو من مصحفه، وكما رويت عن الحفظة الذين سمعوا من الرسول عليه السلام هذه القراءات وتقلوها عنه عن طريق التواتر لا عن طريق الآحاد، وبذلك أقيمت السدود أمام السيل الجارف بين القراءات التي دعا إليها التيسير أو التي نسخت أو التي نقلت علىٰ مستوىٰ الأفراد»[٢].

يقول ابن الجزري معلقًا علىٰ الرأي الثاني (رأي جماهير العلماء) ما نصه:

«وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له،... وقد أجيب عما استشكله أصحاب القول الأول

---

(١) النشر ١/ ٣١.

(٢) مقدمة معجم القراءات القرآنية للأستاذين عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر ص٤٤.

بأجوبة منها ما قاله الإمام المجتهد محمد بن جرير الطبري وغيره، وهو: أن القراءة علىٰ الأحرف السبعة لم تكن واجبةً علىٰ الأمة وإنما كان ذلك جائزًا لهم ومرخصًا فيه وقد جعل لهم الاختيار في أي حرف قرءوا به كما في الأحاديث الصحيحة قالوا: فلما رأىٰ الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا علىٰ حرف واحد اجتمعوا علىٰ ذلك اجتماعًا سائغًا وهم معصومون أن يجتمعوا علىٰ ضلالة»[1].

وأرىٰ أن عمل سيدنا عثمان في جمع المصحف يُعَدُّ باكورةَ الاختيار وكان مبنيًّا علىٰ اختيار ما يحتمله رسم المصحف من قراءات تلقاها النبي ﷺ في العرضة الأخيرة، وطرح ما خالف رسم المصحف من الأحرف السبعة، ثم إحراق المصاحف الأخرىٰ، وبذلك جمع المسلمين علىٰ مصحف واحد، وبذلك - أيضًا - سدَّ باب الفتنة، فرضي الله عن سيدنا عثمان جامع القرآن، وجمعنا الله به في أعالي الجنان. اللهم آمين.

معنىٰ قول عثمان رضىٰ الله عنه «لو كان الكاتب من ثقيف، والملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف».

المعروف أن هذيلاً وثقيفًا يرسمان الخط وفقًا للفظ تمامًا، فلا يزيدون ولا ينقصون، وهذا هو الأصل في الرسم العربي، أما قريش فقد كانت تزيد الألف أو الواو أو الياء أحيانًا بعد الفتحة أو الضمة أو الكسرة؛ لأنهم لم يكونوا أهلَ شَكْلٍ.

قال الكرماني في العجائب:

«كانت صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي ألفًا وصورة الضمة واوًا، وصورة الكسرة ياء فكتبوا (لا أوضعوا) ونحوه بالألف مكان الفتحة و(إيتاءي ذي القربىٰ) بالياء مكان الكسرة و(أولئك) ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول»[2].

فلو وُكِلَ أمر الإملاء والكتابة إلىٰ هذيل وثقيف لما رسمت هذه الأحرف

---

(١) النشر ١/ ٣١، ٣٢.

(٢) نقله السيوطي في الإتقان ٢/ ١٦٨.

الزوائد في المصحف.

وقد أشار أبو عمرو الداني إلىٰ ذلك بقوله:

«وإذا كانت قريش ومَن وَلِي نَسْخَ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتها - تستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمنا جميع تلك الحروف علىٰ حال استقرارها في اللفظ، ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه؛ إذ ذلك هو المعهود عندهما والذي جرىٰ عليه استعمالهما، هذا تأويل قول عثمان عندي لو تليت وجاء مجيء الحجة، وبالله التوفيق»[1]. اهـ.

تعليق مفيد:

«وقد ذكر الأستاذ حفني ناصف[2] في كتابه (تاريخ الأدب) أن قبائل العرب كانت تتفاوت في جودة الخط ودقة الإملاء - علىٰ عهد النبوة - قال:(وكانت ثقيف أبرع أهل الحجاز في الكتابة؛ كما أن هذيلاً كانت من أبرعهم في الفصاحة، ولذلك لما عرضت المصاحف علىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد كتابتها، ووجد في رسمها بعض شذوذ عما يقتضيه القياس كزيادة الألف في قوله تعالىٰ: ﴿لَأَأَذْبَحَنَّهُۥٓ﴾[3]، وقوله: (ولأأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة)[4] وقواعد الإملاء تقضي بكتابة الكلمتين هكذا: (لأذبحنه)، ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟﴾.

لما رأىٰ عثمان ذلك قال: لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد هذه الحروف الزائدة!

فارتبك الكتبة في تدارك ذلك، فقال عثمان: اتركوها فإن العرب ستقيمها بألسنتها.

---

(١) المقنع ص ١٢٥، ١٢٦.
(٢) ينظر: تاريخ الأدب لحفني ناصف.
(٣) من الآية ٢١ من سورة النمل.
(٤) من الآية ٤٧ من سورة التوبة.

والألفات الزائدة فيما نقلنا تشبهها واوات زائدة مثل:

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [١] القاعدة: (سأريكم)!، ومثل الواو في كلمة: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ - فيما نظن - فالقاعدة: «الصلاة».

وهذه الرواية التي نقلناها باختصار عن أديب العربية في عصره (حفني ناصف) موضع أخذ ورد، ومع التسليم بها فهي لا تعني شيئًا ذا بال!

إن عثمان - ﷺ - لم يَهُله هذا التفاوت الإملائيٰ، فإن المصدر الأول للقرآن الكريم هو التلقي الشفوي، هو الذي يستبقي القرآن متلوًا علىٰ النحو الذي نزل به من عند الله تبارك وتعالىٰ ولنضرب مثلاً لما نقع فيه من تجاوز لقواعد الإملاء: أغلبنا يكتب «يقرأون» بهمزة فوق الألف،،الصحيح أنها بهمزة فوق الواو «يقرؤن» [٢] وهذا الاختلاف لا يؤثر في النطق ولم ير عثمان إعادة كتابة المصاحف اطمئنانًا إلىٰ أن ألسنة العرب ستتخطىٰ هذا التفاوت الإملائي.

إلىٰ هنا والخطب سهل، وقد صدقت الأيام ظن عثمان ﷺ.

فالقرآن محفوظ بعناية الله ما سقط منه حرف، والتالون له ضابطون لكلمات واحدة واحدة» [٣].

في عهد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

تثبت الآثار أن عليًّا - ﷺ - كان مؤيدًا لحركة عثمان في إحراق المصاحف، وتوحيد المسلمين علىٰ مصحف واحد، فقد رووا عنه قوله: «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف وإحراق المصاحف، فو الله ما فعل

---

(١) من الآية ١٤٥ من سورة الأعراف.

(٢) قلت: بل الصواب (يقرءون) وأصلها يقرؤون، وحين تجاور المثلان حذفت الواو التي تحت الهمزة ينظر في هذا - مثلاً: أساسيات اللغة العربية للدكتور عبد العزيز نبوي ص٢٠، ط/ الأولىٰ سنة ١٩٩٨م.

(٣) ينظر كتاب علل وأدوية للشيخ محمد الغزالي ص١١١، ١١٢، دار الدعوة، ط/ الأولىٰ ١٩٩١م.

الذي فعل في المصحف إلا عن ملأ مِنّا جميعًا، فقال ما تقولون في هذه القراءة؟

فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا فما ترىٰ؟ قال نرىٰ أن نجمع الناس علىٰ مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت» (١).

وبهذا القول قد سد الإمام علي - رضي الله عنه - باب الفتنة حتىٰ لا تمتد إلىٰ المصحف الإمام يد العبث علىٰ مر الزمان.

فمع أن سيدنا عليًّا - رضي الله عنه - كان لديه مصحف مكتوب بخط يده علىٰ حسب القراءات التي سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام إلا أنها لم تتواتر بين الصحابة من ناحية، ولمخالفتها لرسم المصحف من ناحية أخرىٰ، فلما رأىٰ ذلك رفضها وأبىٰ أن تثبت في المصحف ولعل ذلك أيام خلافته التي جاءت بعد خلافة عثمان - رضي الله عنه - وفي هذا ما يدل علىٰ الالتزام في رحاب القرآن.

ثالثًا: القراءة بعد عصر الخلفاء الراشدين:

وبعد عصر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - قرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من رسول الله - ﷺ - ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي - ﷺ -(٢). وقد كثر هؤلاء وانتشروا في البلاد وكان منهم (٣):

١ - في المدينة: سعيد بن المسَيِّب وعروةُ بنُ الزبير وسالمُ بنُ عبد الله وابن شهاب الزهري وعبد الرحمن بن هُرمز الذي يُعرف بالأعرج.

٢ - وفي مكة عبيد الله بن عمير الليثي وعطاء بن أبي رباح وطاووس وعكرمة مولىٰ ابن عباس، وعبد الله بن أبي مليكة.

---

(١) المصاحف للسجستاني ص٢٢. (٢) من كلام ابن الجزري في النشر ١/ ٨.

(٣) جمال القراء ٢ / ٤٢٥ نقلاً عن كتاب القراءات لأبي عبيد.

٣- وفي الكوفة: علقمة بن قيس والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وعبيدة السلماني وعمرو بن شرحبيل.

٤- وفي البصرة عامر بن عبد الله وأبو العالية الرياحي وأبو رجاء العطاردي ونصر بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر.

٥- وفي الشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وخليد بن سعد.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد ذكر هؤلاء وغيرهم:

«ثم قام من بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمتهم غير أنهم تجردوا للقراءة واشتدت بها عنايتهم ولها طلبهم حتىٰ صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ويقتدون بهم فيها» (١).

ومن هؤلاء:

١- **بالمدينة:** أبو جعفر يزيد بن القَعقَاع، ثم شَيبة بن نَصاح ثم نافع بن نعيم.

٢- **وبمكة:** عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن.

٣- **وبالكوفة:** يحيىٰ بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش....ثم حَمزة ثم الكسائي.

٤- **وبالبصرة:** عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسىٰ بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ثم عاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي.

٥- **وبالشام:** عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي، ويحيىٰ بن الحارث الذمَّاري ثم شريح بن يزيد الحضْرمى» (٢).

قال ابن الجزري:

«ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٤٢٨.

(٢) جمال القراء ٢ / ٤٣٥ وقارن بالنشر ١/ ٨، ٩.

للتلاوة بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر علىٰ وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ بأصول أصلوها وأركان فصلوها» [١].

الاختيار وأثره في القراءات:

«كان المصحف العثماني قد كتب علىٰ حرف واحد - كما سبق - وخطه محتمل لأكثر من قراءة إذْ لم يكن منقوطًا ولا مضبوطًا» [٢].

وكان أئمة القراءة يقرءون علىٰ شيوخ كثيرين، فكانوا ينتخبون من قراءات أولئك الشيوخ قراءة يستمرون عليها، وقد حدث ذلك منذ وقت مبكر [٣].

فينقل ابن الجزري أن ابن عباس (ت ٨٦ هـ) «كان يقرأ القرآن علىٰ قراءة زيد ابن ثابت إلا ثمانية عشر حرفًا أخذها من قراءة ابن مسعود» [٤].

وكان نافع بن أبي نعيم (ت ٩٦١ هـ) إمام أهل المدينة يقول قرأت علىٰ سبعين من التابعين «فنظرت إلىٰ ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته وما شذ فيه أحد تركته، حتىٰ ألفت هذه القراءة من هذه الحروف» [٥].

ويروىٰ أن نافعًا قال: «تركت من قراءة أبي جعفر سبعين حرفًا» [٦].

وهناك أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة.

«فعلىٰ بن حمزة الكسائي قرأ علىٰ حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاث مائة حرف؛

---

(١) النشر ١/ ٩.
(٢) ينظر الإبانة لمكي ص٤ ببعض تصرف.
(٣) ينظر رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري الحمد ص٦٢٤، ٦٢٥.
(٤) غاية النهاية ١/ ٤٢٦.
(٥) السبعة لابن مجاهد ص٦٢، والإبانة لمكي ص١٧.
(٦) معرفة القراء للذهبي ١/ ٩١.

لأنه كان يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضًا» [١].

«وكذلك قرأ أبو عمرو بن العلاء علي ابن كثير وهو يخالفه في حروف كثيرة لأنه قرأ علىٰ غيره، واختار من قراءة غيره قراءة» [٢].

وكان لكثير من علماء القراءات اختيار فلأبي عبيد اختيار، في القراءة وافق فيه العربية والآثر [٣].

ولأبي حاتم السجستناني اختيار لم يخالف مشهور السبعة إلا في حرف واحد[٤]

وكذلك ليحيىٰ بن المبارك اليزيدي اختيار خالف فيه أبا عمرو في حروف يسيرة[٥].

واختيار القراء أكثر من أن تحصر، ومنها اختيار شيخنا أبي القاسم الهذلي، وقد كان لكثير من القراء اختياران أو أكثر.

* * *

(١) ينظر الإبانة لمكي ص١٧. (٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) غاية النهاية لابن الجزري ١٨/ ٢.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٢٠، والحرف الذي خالف فيه مشهور السبعة هو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝﴾ من الآية ١٢٠ من سورة آل عمران، حيث قرأ (تعملون) بالخطاب.

(٥) المرجع نفسه ٢/ ٣٧٦.

الفصل الثالث

شروط الاختيار

سبق أن ذكرت معنىٰ الاختيار وأنه واقع منذ الصدر الأول، وهنا أذكر شروط الاختيار، فليس لكل واحد أن يختار ولكن ذلك مشروط بالشروط التي بالتزامها يدفع كل محذور، قد يعترض به معترض ويحفظ النص القرآني من التلاعب الذي قد يقع فيه مَن ليس أهلاً للاختيار وهذه الشروط قسمان: شروط لصاحب الاختيار وشروط للمختار.

أولاً: ما يشترط في صاحب الاختيار شرط واحد وهو:

*** الأهلية:**

ومعناها أن يكون صاحب الاختيار أهلاً، وتتحقق هذه الأهلية بما يلي:

(أ) أن يكون منتهيًا، لا مبتدئًا، جامعًا للقراءات المتاحة له حتىٰ يعلم الصحيح من غيره وفي ذلك يقول الإمام الهذلي:

«ويومئ إلىٰ أن أحدًا من القراء لم يختر إلا بعد تتبع جميع القراءات» [1].

(ب) أن يكون ذا خلق ودين حتىٰ يقع اختياره موقع القبول، ويجمع بين العلم والخلق فيتزاحم عليه طلاب العلم، ويسقط الطير حيث يلتقط الحب.

(جـ) ألا يلزم الناس باختياره، ولا يمنع هذا من الدفاع عنه والتعليل له..

(د) ألا يحط من قدر غيره في الاختيار، حتىٰ لا يشعر الناس بتوهين قراءة غيره.

ثانيا: ما يشترط في القراءة المختارة ما يلي:

١ - أن تكون القراءة صحيحة ضمن القراءات المروية، فليس لأحد أن يختار

---

(١) الكامل ٢٨.

قراءةً لقوة وجهها في اللغة مثلاً وهي غير مروية، لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

٢- أن تكون موافقة لرسم المصحف.

٣- أن تكون ذاتَ وجه قوي في العربية.

٤- ألا يؤدي الاختيار إلىٰ اجتماع أوجه متنافرة وثقيلة علىٰ السامع أو القارئ يؤدي إلىٰ عدم التناسب، كأن يختار مثلاً وجه التقاء الساكنين في ﴿يَخِصِّمُونَ﴾[1].

وهذه أهم شروط الاختيار، ويمكن أن يقال اليوم:

لا يجوز الاختيار خارج ما روي عن القراء العشرة للإجماع علىٰ قبول قراءتهم ولشذوذ ما خرج عنها،...ولعل هذا هو سبب خلود اختيار القراء العشرة، والمتأمل يكتشف ذلك بسهولة، بل إنك ترىٰ أحدهم يسير علىٰ أصل في القرآن الكريم كله، ويخالفه في مواضع يسيرة، ولا ترىٰ مخالفته إلا منسجمة متناسقة، فإذا أراد أحدنا أن يختار، فلابد أن يراعىٰ الانسجام والتناسق ويبتعد عن جمع الأوجه المتباعدة والمختلفة في الآية الواحدة أو الموضع الواحد[2].

وأرىٰ أن الأولىٰ أن يحرص الإنسان علىٰ ما اختاره القراء العشرة وأصحاب الاختيارات السابقون ويلتزم به، وأن يبتعد عن الاشتغال بأمرٍ ربما لا يترتب عليه فائدة الآن.

* ومن الأئمة من توافرت فيه شروط الاختيار ولم يخْتَرَ ﷺ وخير مثال علىٰ

---

(١) من الآية ٤٩ من سورة يس، وقد قرأ بسكون الخاء وتشديد الصاد - أبو جعفر ونافع برواية إسماعيل وقالون بخُلف عنه وهي رواية العراقيين قاطبة عن قالون.. (يَخْصِّمون) بفتح الياء وإسكان الخاء وتشديد الصاد - ينظر النشر ٢/ ٤٠٢، وحاشية الشهاب ٧/ ٢٤٥، وحاشية الجمل ٣/ ٥١٨.

(٢) ينظر القراءات القرآنية - تاريخها - ثبوتها - حجيتها وأحكامها لعبد الحليم قابة ص٢٦٧ بتصرف واختصار.

ذلك ابنُ مجاهد الذي سأله بعض تلاميذه ممن بهرتهم سعةُ روايته للقراءات وعلمه بوجوهها وضبط حروفها وقال له: لم لا تختار لنفسِك قراءة تُحْمَلُ عنك؟

فقال ابن مجاهد:

«نحن إلىٰ أن نُعْمِلَ أنفسنا في حفظِ مَا مضَىٰ عليه أئمتُنا أحوجُ منه إلىٰ اختيار حرف يقرأُ به مَن بعَدنا» (١).

وابن مجاهد - وإن لم يَخْتَرْ لنفسه قراءةً - فقد اختار هؤلاءِ السبعةَ الذين ملأت قراءاتُهم الدنيا نورًا، فجزاه الله خيرًا.

بيد أن هناك كتابًا جمع صاحبه فيه خمسين قراءة، ألا وهو كتاب (الكامل) للإمام الهذلي (ت ٥٦٤ هـ)، وكان له اختيار قال فيه (اخترت اختيارًا وافقت فيه السلف بعد نظري في العربية والفقه والكلام والقراءات والتفسير، والسنن والمعاني) فمن هو الهذلي؟

وما حقيقة اختياره؟

هذا موضوع الفصل القادم إن شاء الله تعالي!

* * *

(١) السبعة ص٢٤.

الفصل الرابع

أبو القاسم الهذلي

حياته ونشأته

لم تسعفنا المصادر التي ذكرت أبا القاسم الهذلي بالمعلومات والأخبار التي نتمكن من خلالها التعرف علىٰ هذه الشخصية العلمية الكبيرة، فكل ما وجدناه عبارة عن ترجمات مختصرة ولمحات يذكرها المترجمون له، وكلها مجتمعة لا تشكل مادة كافية للوقوف علىٰ ما يتعلق بجوانب حياته المختلفة وقد حاولت الإفادة من كل معلومة لها علاقة بأبي القاسم الهذلي، أملا في الكشف عن شخصيته ومنزلته بين أبناء زمانه.

اسمه ونسبه:

تجمع المصادر علىٰ أن اسمه يوسف بن علي[١]، ولكنهم اختلفوا في اسم جده فقال بعضهم: اسمه جبارة (بالجيم)[٢] وقيل حبارة (بالحاء المهملة)[٣] وقيل: عبادة[٤].

ولعل ما ذكره الإمام الذهبي هو الأرجح حيث يقول: «واسمه يوسف بن علي بن جبارة (بالجيم) بن محمد بن عقيل بن سوادة»[٥] وقد ذكرت جل المصادر «جبارة بالجيم»[٦].

وكنيته أبو القاسم، وله أكثر من نسبة فهو المغربي[٧] نسبة إلىٰ بلاد المغرب، والبسكري[٨] نسبة إلىٰ بسكرة، بُليدة بالمغرب وهذه النسبة تصحفت في غاية

---

(١) ينظر مثلاً: معرفة القراء ٤٢٩، وغاية النهاية ٢/ ٣٩٧، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٢/ ٣٥٩.

(٢) معرفة القراء ١/ ٤٢٩، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٤.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٢٨١.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) معرفة القراء ١/ ٤٢٩.

(٦) يراجع بغية الوعاة ٢/ ٣٥٩، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٤.

(٧) معرفة القراء ١/ ٤٢٩.

(٨) المرجع السابق نفسه.

النهاية لابن الجزري إلىٰ «اليشكرى» ولعل الأرجح ما ذكره ابن ماكولا [١]؛ حيث إنه كان معاصرًا له [٢]، فهو به أعرف، وإليه أقرب.

فقد ذكر اسمه كاملا فقال:

«أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة بن مكناس بن وربليس بن هدير بن جمح بن خبا بن مستملح بن عكرمة بن خالد وهو أبو ذؤيب الهذلي بن خوليد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل البسكرى» [٣]. وتعرف بسكرة [٤] بالنخل والشجر والقسب [٥] الجيد [٦].

وأشهر نسبه لأبي القاسم هى« الهذلى» نسبة إلىٰ هذيل علىٰ غير القياس [٧].

وجدير بالذكر أن أبا ذؤيب الهذلي (الجد الثاني عشر لأبي القاسم) «قد هاجر من شبه الجزيرة العربية إلىٰ بلاد المغرب في سنة ٧٢هـ الموافق ٧٤٦م» [٨] واستقر به المقام مع مجموعة كبيرة من القبائل العربية [٩].

---

(١) **الإكمال** لابن ماكولا ١/ ٤٥٨.

(٢) حيث توفي ابن ماكولا سنة ٤٧٥ هـ.

(٣) **الإكمال** في رفع الارتياب عن المؤتلف والمتخلف في الأنساب والكني والألقاب لابن ماكولا ١/ ٤٥٨.

(٤) ضبطها كل من ابن ماكولا ١/ ٤٥٨، وياقوت الحموي ١/ ٥٠١، والسمعاني ١ / ٣٥٤بكسر الباء هكذا، بِسْكرة، وذكر ابن الأثير الجزري في اللباب ١ / ١٠٧الكسر والفتح كليهما وذكر الجازمي الفتح. وأرىٰ أن الفتح أخف علىٰ اللسان من الكسر، ولا سيما وقد اجتمع في الكلمة الكسرة وياء النسب فلو كسر أوله لثقل ذلك.

(٥) **القسْب**: بفتح فسكون: التمر اليابس، يتفتت في الفم صلب النواة، انظر اللسان مادة، ق س ب: ١١/ ١٥٤.

(٦) ذكر الحازمي أن بسكرة مدينة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء علىٰ مذهب أهل المدينة. انظر معجم البلدان ١/ ٥٠١.

(٧) القياس فيما كان علىٰ «فَعيل وفُعيل.. صحيحي اللام ألا يحذف منه شىء فيقال في: عَقيل: عَقِيلي وفي عُقيل: عُقَيلي، ولكنه سمع هُذَلي وقُرَشي في هُذَيل وقُرَيش ينظر في هذا شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك ٤ / ١٦٠ تحقيق محمد محيىٰ الدين عبد الحميد رحمه الله.

(٨) **فتوح البلدان** للبلاذري ص٢٢٨ القاهرة ١٩٣٢ م.

(٩) **فتوح مصر والمغرب** لابن عبد الحكم ٢٢٩ ط سنة ١٩٦١ م.

نشأته وتكوينه العلمي:

في حدود التسعين وثلاثمائة من الهجرة - تقريبًا - [١] ولد أبو القاسم يوسف ابن علي من أسرة عربية عريقة وقدت من القبائل العربية لفتح المغرب حيث استقر جدهم أبو ذؤيب الهذلي في بلاد المغرب.

وفي بلدة بسكرة المغربية ذات النخيل والشجر نشأ أبو القاسم الهذلي نشأة حسنة صالحة تحت رعاية والده الذي يبدو أنه كان محبًا للعلم، وإن لم يكن من العلماء الذين ذكرهم أبو القاسم وأخذ عنهم.

والناظر في حياة أبي القاسم يجدها تنقسم إلى قسمين:

قسم لا نكاد نعرف عنه شيئًا، وهو ماقبل رحلاته العلمية التي ابتدأها سنة خمس وعشرين أربعمائة (٥٢٤هـ) [٢].

وكان يومها يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا تقريبًا.

وقسم آخر حافل بالرحلات العلمية، وهو منذ ذلك الحين (سنة ٥٢٤هـ) إلىٰ أن لقي ربه في سنة ٥٦٤هـ.

ولا شك أن أبا القاسم قد تلقىٰ مبادئ العلوم في بلدته من حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم العربية والشرعية قبل أن يبدأ رحلاته العلمية مما جعله في شوق للزيادة من العلم فمن ذاق عرف.

شيوخه ورحلاته العلمية:

أخذ أبو القاسم القراءات عن شيوخه، ومعروف في مجال القراءات القرآنية أن الأخذ من الكتب فحسب ليس من عادة القراء، بل يأخذون مشافهة من شيوخهم.

فقرأ بـ (حَرَّان)[٣]، علىٰ أبي القاسم الزيدي صاحب النقاش وهو أكبر

---

(١) ذكر ابن الجزري في غاية النهاية ٢ / ٣٩٨أنه ولد في حدود التسعين وثلاثمائة تخمينا.

(٢) ذكره الذهبي في معرفة القراء ١/ ٤٣٠.

(٣) حران: بتشديد الراء وآخره نوه من حرن الفرس إذا لم ينقد ويجوز أن يكون فعلان من الحر وهي

شيوخه، وعلىٰ الأهوازي بدمشق، وعلىٰ إسماعيل بن عمرو بن راشد الحداد، وجماعة بمصر، وعلىٰ مهدي بن طرارة والحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي صاحب (الروضة) وتاج الأئمة أحمد بن علي المصري، وأبي العلاء محمد بن علي الواسطي، ومحمد بن الحسين الكارزيني.

وقد ذكر الشيوخ الذي قرأ عليهم، وعدتهم مائة واثنان وعشرون شيخًا[١].

ولا يسعني في هذا المقام ذكر هؤلاء الشيوخ جميعهم، فهذا أمر يطول جدًّا، وقد ذكره العلماء بالتفصيل[٢].

ومن مجموع من أخذ عنهم تجمعت لديه خمسون قراءة عن الأئمة.

قال أبو القاسم:

«لقيت ثلاثمائة وخمسة وخمسين إمامًا من أرباب الاختيارات الذين بلغوا رتبتها (أي: السبعة والعشرة)[٣].

فهو رجل قد سافر من المغرب إلىٰ المشرق وطاف البلاد وقرأ بغزنة وغيرها حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بلاد ما وراء النهر[٤].

وبعد ما ذكر الإمام الذهبي شيوخ أبي القاسم قال:

«إنما ذكرت شيوخه - وإن كان أكثرهم مجهولين - لتعلم كيف كانت همة الفضلاء في طلب العلم»[٥].

وبالنظر في مجموع الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو القاسم يتبين لنا ما يلي:

١ - أن شيوخه ينتسبون إلىٰ أمصار مختلفة، فنمهم البغدادي والمصري، والإسكندري والسمرقندي والبصري والكوفي والدمشقي والدمياطي

مدينة عظيمة علىٰ طريق الموصل والشام. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٧١.

(١) معرفة القراء للذهبي ١/ ٤٣٠، ٤٣١ وغاية النهاية ٢/ ٣٩٧، ٤٠١.

(٢) ينظر معرفة القراء ٤٣٠.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٣٨١.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) معرفة القراء ١/ ٤٣٢.

والأصبهاني وغيرهم.

بالإضافة إلىٰ شيوخ المغرب الذين أخذ عنهم وتلقىٰ عليهم، فهو القائل «فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخًا من آخر المغرب إلىٰ باب فرغانة يمينًا وشمالاً وجبلاً وبحرًا، ولو علمت أحدًا يقدم علي في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته»[١].

٢ - يتضح لنا - أيضًا - أنه تلقىٰ علىٰ شيخه أبي نعيم الأصبهاني الذي كان إمامًا في اللغة فوق إمامته في القراءات.

منزلته العلمية:

كان شيخنا أبو القاسم الهذلي من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، حريصًا علىٰ العلم، قال: فيه الذهبي:

«المقرئ، الجوال، أحد من طوف الدنيا في طلب القراءات»[٢].

قال ابن ماكولا: «كان يدرس علم النحو ويفهم الكلام»[٣].

وذكره عبد الغافر ونعته بأنه ضرير، فكأنه عمي في أواخر عمره، وكان قد أرسله نظام الملك الوزير ليجلس في مدرسته بنيسابور فقعد سنين وأفاد، وكان مقدمًا في النحو والصرف، عارفًا بالعلل، كان يحضر مجلس أبي القاسم القشيري، ويقرأ عليه في الأصول، وكان القشيري يراجعه في مسائل النحو، ويستفيد منه»[٤].

قال فيه ابن الجزري: «أبو القاسم الهذلي... الأستاذ الكبير الرحَّال والعلم الشهير الجوَّال... طاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحدًا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ»[٥].

---

(١) معرفة القراء للذهبي ١/ ٤٢٩.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) الإكمال لابن ماكولا ١/ ٤٥٨.
(٤) معرفة القراء ١/ ٤٢٢، ٤٣٣.
(٥) غاية النهاية ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨.

تلاميذه:

قرأ علىٰ أبي القاسم كثير من القراء منهم:

١ - إسماعيل بن الإخشيد[١].

٢ - أبو العز محمد بن الحسين القلانسى[٢]، وسمع منه الكامل[٣].

٣ - عبد الواحد بن حمد بن شيدة السكرى[٤].

٤ - أبو بكر بن محمد بن زكريا الأصبهاني النجار، وقرأ عليه بمضمن كامله[٥].

٥ - علي بن عساكر بن المرحب[٦]، وغيرهم كثير.

آثاره العلمية:

كان أبو القاسم - علىٰ عادة المقرئين - مشغولاً بالإقراء مشافهة والتدريس في مدرسة نيسابور النظامية.

ولم يصرفه هذا عن التأليف - وإن شغله كثيرًا - فنراه يصرح لنا بأنه «ألف هذا الكتاب - يعني الكامل - فجعله جامعًا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة، ونسخ به مصنفاته كـ «الوجيز والهادي وغيرهما»[٧] وهذا يعني أنه ألف كتبًا قبل الكامل، ولكنه نسخها كلها وجعلها فيه كما يعطينا إشارة إلىٰ سر تسميته بهذا الاسم[٨].

هذا وإن لم يكن للهذلي آثار مكتوبة سوىٰ «الكامل» لكفاه. فقد جمع فيه ما لم يجمعه غيره من القراءات، فجزاه الله عنا خير الجزاء! وأما آثاره المكتوبة عند الله فأظنها كثيرة، لصدق نيته وقوة عزيمته، وكثرة خطواته في طلب العلم، قال تعالىٰ:

---

(١) معرفة القراء ١/ ٤٣٢.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) غاية النهاية ٢/ ٤٠١.
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) المرجع السابق نفسه.
(٦) المرجع السابق نفسه.
(٧) معرفة القراء ١/ ٤٣٢.
(٨) لعل تسميته باسم الكامل لكمال مادته من حيث إنه جمع كل مصنفاته فيه وجمع كثيرًا من الطرق والقراءات.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1].

وفاته:

توفي أبو القاسم الهذلي «بنيسابور[2] في سنة خمس وستين وأربعمائة ٤٦٥ هـ»[3] بعد حياة حافلة بالترحال في طلب العلم، وبعد أن أفاد الكثير من علمه، وخلف وراءه لسان صدق في الآخرين، وترك لنا أثرًا عظيمًا وكتابًا قيمًا، ألا وهو كتاب الكامل. رحم الله شيخنا أبا القاسم! وجزاه الله عنا خير الجزاء!

* * *

(١) بعض الآية ١٢ من سورة يس.

(٢) ينظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٩١ تصحيح الشيخ الضباع. دار الفكر.

(٣) معرفة القراء للذهبي ١ / ٤٣٣ وغاية النهاية لابن الجزري ٢ / ٣٩٧ والإكمال لابن ماكولا ١ / ٤٥٨.

الفصل الخامس

كتاب الكامل: موضوعه وأهميته ومصادره ومنهجه

جاء في أكثر من مصدر أن كتاب الكامل إنما هو لأبي القاسم الهذلي يوسف بن جبارة.

ففي معرفة القراء للذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ يقول:

«قال (أبو القاسم) وألفت هذا الكتاب - يعني الكامل - فجعلته جامعًا للطرق المتلوة، والقراءات المعروفة، ونسخت به مصنفاتي كـ«الوجيز» و«الهادى» وغيرها»[(١)].

كما ذكر الكتاب وجعله أحد الكتب التي اعتمد عليها في القراءات العشر صاحب كتاب النشر الإمام ابن الجزري - رحمه الله - حيث يقول: «كتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها تأليف الإمام الأستاذ الناقل أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربى»[(٢)].

كما ذكره آخرون، والكتاب - الآن - تحت الطبع[(٣)].

موضوعه:

أوضح المصنف موضوع هذا الكتاب في عنوانه، إذ سماه: كتاب الكامل: لبيان ما في كتاب الله - عز وجل - في مذاهب القراء السبعة وغيرهم من أوجه قرائية وإسناد ذلك إلىٰ من قرأ به، وقد أوضح الهذلي أنه لم يؤلف كتابه هذا لبيان العلل والشرح وإنما المراد به بيان اختلاف القراء وإثبات الرواية وسندها، فنراه يقول:

---

(١) معرفة القراء ١/ ٤٣٢.

(٢) النشر لابن الجزري ١/ ٩١.

(٣) اعتمدت في بحثي هذا علىٰ النسخة التي تفضل أستاذنا الدكتور محمد خاطر بنسخها ويقوم - الآن - بتحقيقها بمساعدة آخرين، ونرجوا أن يخرج الكتاب في أبهىٰ حُلة قريبًا إن شاء الله!

«إذ لم نضع هذا الكتاب للتطويل، ألا ترىٰ أنا لم نذكر فيه العلل والشرح والشواذ، وإنما جعلناه ليستبصر به المتعلم ويستذكر به العالم»[١].

وعلىٰ الرغم من ذلك فقد وجدناه يعلل غالبًا اختياره وبعض القراءات ويشرح أحيانًا إن تطلب الأمر، ويذكر كثيرًا من الشواذ، إلا إذا كان الشاذ في تقديره ما كان شاذًّا عن الخمسين!!

ويقول في موضوع آخر:

«إذ المقصود بيان القراءات والروايات»[٢].

ويقول أيضًا:

«إنا لم نجعل هذا الكتاب للعلل، إنما جعلناه لإثبات الرواية فإن أخر الله تعالىٰ في الأجل عللناه في كتاب أطول منه وشرحناه»[٣].

قيمة الكتاب وأهميته:

تتلخص مكانة هذا الكتاب فيما يلي:

١ - جمعه لهذا العدد من القراءات والأسانيد.

حيث جمع الهذلي فيه عددًا كبيرًا من روايات الأئمة في القراءات والقرآنية وجعله جامعًا للطرق المتلوة، والقراءات المعروفة.

٢ - يعد الكتاب من أهم مصادر - ابن الجزري لكتابه النشر.

فقد اعتمد عليه الإمام ابن الجزري - رحمه الله - اعتمادًا كبيرًا في كتابه النشر في القراءات العشر.

ولا يخفىٰ ما لكتاب النشر من عظيم القدر فهو «سِفرٌ جلَّ قدرَه، وفاح بين الأنام عطره، وعزَّ علىٰ الزمان أن يأتي بمثله، وعجزت الأقلام عن حصر فضله»[٤].

---

(١) الكامل ص٢١. (٢) المرجع السابق ٥٣١. (٣) المرجع السابق ٢٨٣.

(٤) من كلام الشيخ الضباع - رحمه الله - في مقدمة النشر.

٣ - تضمن كتاب الكامل اختيارات الهذلي.

قال الهذلي:

«وسئلت أن اختار اختيارًا يوافق العربية والأثر والمعاني والأحكام فأجبتهـ إلىٰ ذلك»[١].

وقال في موضع آخر:

«اخترت اختيارًا وافقت فيه السلف بعد نظري في العربية والفقه والكلا والقراءات والتفاسير والسنن والمعاني أرجو أن ينفع بعون الله وتوفيقه»[٢].

مصادر الكامل:

لا يختلف اثنان علىٰ مكانة الإمام الهذلي العلمية، وقدرته علىٰ الحفظ والروايـ والجمع والتحصيل، وهو أكثر القراء ترحالاً في طلب العلم وأحرصهم علىٰ تلقي القراءات من الشيوخ، يقول عنه ابن الجزري: «طاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحدًا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقىٰ مَن لقي مِر الشيوخ، قال في كتابه الكامل فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمس وستون شيخًا من آخر المغرب إلىٰ باب فرغانة يمينًا وشمالاً وجبلاً وبحرًا، ول علمت أحدًا تقدم علىٰ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته»[٣].

وهذا هو **المصدر الأول** لكتابه الكامل، ألا وهو التلقي والمشافهه مر الشيوخ، ولعل أغلب الكتاب من هذا المصدر.

فهذا ابن الجزري - رحمه الله - الخبير بطبقات القراء يذكر أنه لا يعرف أحدً رحل في طلب القراءات مثل الهذلي، ولا لقي من الشيوخ مثله، فهذا وحده وسا شرف وشهادة حق، إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ همته العالية في طلب القراءات.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما ذكره من الطرق في كتاب الأسانيد[٤] وقوله قرأ

---

(١) الكامل ١٩١. (٢) المرجع السابق ٢٨٢. (٣) غاية النهاية ٢/ ٢٩٨.

(٤) يُنظر الكامل من ص ١٥٠ وما بعدها.

علىٰ فلان.

وأما **المصدر الثاني** لكتاب الكامل فهو ما كتبه من قبل مثل كتاب الوجيز والهادى[١] ودرة الوقوف والجامع[٢]، فالأولان في القراءات والآخران في علم الوقف والابتداء، وقد ضمن ذلك كله في كتابه الكامل.

وأما **المصدر الثالث** فهو كتب اللغة والقراءات المتاحة في عصره فمنها ما ذكره جملة نحو قوله: «ولابد من أشياء يرجع فيها إلىٰ الإسناد لتعلم منزلته، لأنه ما من عالم إلا وقد صنف في الوقف والابتداء كنافع ونصير، والعباس بن الفضل الرازي، وابن عيسىٰ، وأبي حاتم والأنباري، والزعفران والأخفش، وابن مهران، والعراقى[٣]، وقوله:

«وطال ما مارست الكتب والعلماء فلم أجد من يجعل مد الكلمة والواحدة كمد الكلمتين إلا العراقى»[٤].

ومن الكتب ما ذكره باسمه كالمبسوط لابن مهران[٥]. أو يكتفي بذكر صاحبه كالخليل بن أحمد في كتابه العين[٦]، والطبرى[٧]، وابن قتيبة[٨]، وأبي حاتم[٩]، وابن مجاهد[١٠]، وابن غلبون[١١].

وأما **المصدر الرابع** فهو ما اعتمد عليه من المصاحف مثل قوله: «في بعض المصاحف بالتاء، وفي بعضها بالهاء وهي مصاحف القديم»[١٢].

---

(١) يُنظر معرفة القراء ١/ ٤٣٢.
(٢) يُنظر الكامل ص ١٢٥.
(٣) الكامل ص ١٣٤.
(٤) السابق ص ٥٢٠.
(٥) السابق الصفحات ٢٩١، ٢٩٤، ٥٢٣، ٥٦٠، ٥٦٢، ٦١٤.
(٦) السابق ص ٧٢ وما بعدها.
(٧) السابق ص ١٢٢، ٦٠٧.
(٨) السابق ص ١٢٧.
(٩) السابق الصفحات ٢٨٤، ٩٧١، ٩٧٢، ١٠٢٩.
(١٠) السابق ص ٨١.
(١١) السابق ص ٥٣٦.
(١٢) السابق ص١٢٩.

ومما هو جدير بالذكر أن الهذلي تمسك بموافقة المصحف واعترض على كل من قرأ بما يخالفه، من ذلك قوله في قوله الله تعالىٰ:

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾[١].

«قرأ الفياض عن طلحة فالصوالح قوانت حوافظ بالواو من غير تنوين وهو خلاف المصحف، ولطلحة عجائب تخالف المصحف مثل أقيموا الحج في موضع و﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ﴾[٢].

فما خالف مصحف عثمان - رضي الله عنه - من قراءة طلحة لا نقرئ به ولا نأخذه على أحد، ولا نأمر بقراءته، وإن كنا قرأنا به في وقت الصبا، نبهت على ذلك؛ لأحذر الناس ألا يخالفوا مصحف عثمان - رضي الله عنه - لأن الإجماع عليه، وإن قرأ طلحة على أصحاب عبد الله فإن مصحف عبد الله أحرقه عثمان - رضي الله عنه - ونحو إنما قرأنا هذه القراءة في الابتداء إما لنحذر الناس عنها، وإما لأن الطالب في حالة الابتداء حريص على الجمع، ولم يكن يعلم ما يعلم ما يئول، إليه الأمر، فلما أحاط علمًا بأن الإجماع لا يخالف ألقىٰ تلك القراءة وأعلم الناس ما يجب عليه إعلامه. والله أعلم[٣].

وهكذا نرىٰ الهذلي يستمسك بموافقة المصحف ويعترض على من خالفه ويبرر موقفه في حالة الصبا عندما كان يجمع القراءات.

ويختار الهذلي إحدىٰ القراءات - أحيانًا - لأنها توافق أكثر المصاحف مثل قوله في قول الله تعالىٰ: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾[٤].

«الباقون: بغير باء فيهما وهو الاختيار؛ موافقة لأكثر المصاحف»[٥].

وهذه هي أهم مصادر كتاب الكامل في القراءات فماذا عن منهجه في عرض

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة النساء.
(٢) من الآية ١٩٦ من سورة البقرة.
(٣) الكامل ص ٧٥٣.
(٤) من الآية ١٨٤ من سورة آل عمران.
(٥) الكامل ص ٧٤٠.

القراءات؟

منهج الهذلي في كتاب الكامل

قسَم الهذلي كتابه - علىٰ عادة القراء - قسمين:

القسم الأول: الأصول والقسم الثاني: فرش الحروف.

فجعل في القسم الأول اثنىٰ عشر كتابًا هي كالتالي:

١ - كتاب فضائل التجويد.
٢ - كتاب التجويد.
٣ - كتاب العدد.
٤ - كتاب الوقف.
٥ - كتاب الأسانيد.
٦ - كتاب الإمالة.
٧ - كتاب الإدغام.
٨ - كتاب الهمزة.
٩ - كتاب المد والوقف لحمزة.
١٠ - كتاب الياءات.
١١ - كتاب الهاءات وميمات الجمع.
١٢ - كتاب التعوذ والتسمية والتهليل والتكبير.

وضمَّن كل كتاب مما سبق فصولاً تبحث في مسائله.

وجعل في القسم الثاني الحروف المختلف فيها قرائيًّا من أول سورة الفاتحة إلىٰ آخر القرآن الكريم.

و«جمع الهذلي في كتابه خمسين قراءة عن الأئمة، وألفًا وأربعمائة وتسعًا وخمسين رواية وطريقًا»[1].

منهجه في عرض القراءات:

يبدأ الهذلي بذكر الكلمة القرآنية ثم بذكر ما فيها من قراءات منسوبة إلىٰ من قرأ بها ثم يختار إحداها قائلاً: «وهو الاختيار» ويقع اختياره غالبًا - في آخر كلامه مثل قوله في: «نعبد».

---

(١) النشر ١ / ٣٥ وفيه: وتسعة وخمسين بالتاء.

أ - بإشباع الضم إذا لقيتها واو بإشباع الكسرة إذا لقيتها ياء مثل: ﴿بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ﴾[١]، بإشباع الكسرة وما يشبهها، الأهوازي وكردم عن ورش، وسليمان ابن سليمان البرجمي عن سليم عن حمزة وهو ضعيف.

ب - الباقون: بغير إشباع فيها، وهو الاختيار: لأنه أفصح وأخف وأشهر»[٢].

ويلاحظ عليه عنايته بالنظائر القرائية[٣] والتعليقات اللغوية وسيأتي الكلام عن ذلك في حديثنا عن معايير الهذلي في الاختيار.

كما يلاحظ عليه أنه يعلل لاختياراته، وسيأتي الكلام عن ذلك بالتفصيل.

بعض ما يؤخذ على كتاب الكامل:

ذكر الإمام الذهبي كتاب الكامل للهذلي وقال:

«وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشد في كتابه أشياء منكرة لا تحل القراءة بها ولا يصح لها إسناد»[٤].

وقال ابن الجزري في غاية النهاية:

«وقد وقع له أوهام في أسانيده وهو معذور في ذلك؛ لأنه ذكر ما لم يذكره غيره، وأكثر القراء لا علم لهم بالأسانيد، فمن ثم حصل الوهم، وللحافظ أبي العلاء الحواش على ذلك رَدٌّ أكثرها إلى الصواب: وسكت عن كثير، فمن ذلك قول الهذلي: أنه قرأ على أحمد بن الصقر والحسن بن حشيش، ومحمد بن يعقوب، وأنهم قرءوا على زيد بن علي بن أبي بلال، ولم أر الحافظ أبا العلاء أنكر ذلك، ومن أبعد البعيد قراءته على أحمد من أصحاب زيد فإن آخر أصحاب زيد موتًا الحسين بن علي بن الصقر،

---

(١) من الآية ٣٩ من سورة طه. (٢) الكامل ص ٦٢٦.

(٣) النظائر القرآنية: هي المواضع الأخرى التي تماثل قراءة ما في حكمها قرائيًا مثل قوله في «قيل» من الآية ١١ من سورة البقرة: وجائ (الزمر:٦٩)، (الفجر: ٢٣)، و«غيض» (هود:٤٤) و«حيل» (سبأ: ٥٤) و«سيق» (الزمر: ٧، ٧٣) و«سيء» (هود:٧٧)، العنكبوت: ٣٣ و«سئت» (الملك:٧٢). ينظر الكامل ص٦٣٠.

(٤) معرفة القراء ١/ ٤٣٣.

رأ عليه لأبي عمرو فقط، ومات سنة تسع وعشرين وأربعمائة عن أربع وتسعين سنة، ولم يدركه الهذلي، وأيضًا فإن هؤلاء الثلاثة لا يعرفون، ولو كانوا قد قرءوا علىٰ يد وتأخروا حتىٰ أدركهم الهذلي في حدود الثلاثين وأربعمائة أو بعدها لرحل الناس إليهم من الأقطار، واشتهر اسمهم في الأمصار»[١].

وبالرغم من أن ابن الجزري يتفق مع الذهبي في أن الهذلي له أغاليط كثيرة في الأسانيد إلا أنه التمس له العذر فقال: «قال الذهبي: وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات... إلخ قلت: قد قرأ بالكامل إمام زمانه حفظًا ونقلاً أبو العلاء الهمذاني علىٰ أبي العز، ولا زال يقرئ به إلىٰ آخر وقت وآخر من رواه تلاوة فيما نعلم ابن المؤمن الواسطي، قرأته أنا علىٰ الشيخين إبراهيم بن أحمد الإسكندراني، ومحمد بن النحاس بإجازة الأول وسماع الثاني لبعضه بسندهما»[٢].

وقال في النشر:

«أما من قرأ بالكامل للهذلي... ونحو ذلك علىٰ ما فيه من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم فلا نعلم أحدًا أنكر ذلك، ولا زعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة، بل ما زالت علماء الأمة، وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهادتهم في إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات»[٣].

وخلاصة الأمر أن الهذلي - وإن كان له أغاليط في الأسانيد إلا أن جمعه لهذا الكم الكبير من الطرق والروايات يعد من الأعمال الجليلة التي قدمها لنا الإمام الهذلي، وتحتاج من الباحثين وقفة متأنية لتحقيقها وتصحيح ما فيها من أخطاء[٤].

* * *

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٤٠٠، ٤٠١.
(٢) السابق نفسه.
(٣) النشر ١/ ٣٥، ٣٦.
(٤) كتاب الأسانيد - وحده - يحتاج إلىٰ أكثر من رسالة لتحريره وضبطه أسأل الله أن يقيض له من الباحثين من يحققه ويخرجه لنا في أحسن هيئة وأبهىٰ حلة.. اللهم آمين.

الفصل السادس

معايير الهذلي في اختيار القراءات

بني الإمام الهذلي اختياره في القراءات علىٰ معايير محددة وقواعد معينة استطاع من خلالها أن يختار اختيارًا موفقًا قال عنه الهذلي:

«اخترت اختيارًا وافقت فيه السلف بعد نظري في العربية والفقه والكلام والقراءات والتفاسير والسنن والمعاني، أرجو أن ينفع بعون الله وتوفيقه»[١].

وأستطيع - بعون الله - أن أذكر هذه المعايير من خلال دراستي للكتاب، وأجملها فيما يلي:

١ - اتفاق أكثر القراء وشهرة القراءة:

وهذا المعيار واضح جدًّا في اختيارات الهذلي، وقد عبر عنه بعدة أمور، فأحيانًا يقول: وهو الاختيار لاتفاق الأكثر[٢] وأحيانًا أخرىٰ يقول: لاتفاق الجماعة[٣]، أو لأنه الأشهر[٤]، أو لموافقة السبعة[٥] أو لاتباع الأكثر[٦] وهكذا.

٢ - موافقة القراءة لأفصح اللغات:

وللهذلي في هذا تعبيرات كثيرة منها قوله: لأنه أفشىٰ اللغتين[٧]، وقوله: لأنه أعلىٰ اللغتين[٨]، وقوله: لأنه أشهر اللغتين[٩]، وقوله: لأنه أحسن اللغتين[١٠].

وأحيانًا يختار القراءة لأنها توافق لهجة قريش[١١]، أو لأنها توافق أشهر

---

(١) الكامل ص ٢٨٢.
(٢) السابق ٤١٧، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٥.
(٣) السابق ٤١٩.
(٤) السابق ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٣، ٤٤٧.
(٥) السابق ٦٤٥، ٦٥٩.
(٦) السابق ٤٧٥، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٥٧.
(٧) السابق ٧٠٠.
(٨) السابق ٨٣٥.
(٩) السابق ٧٧٠.
(١٠) السابق ٨١٦.
(١١) الكامل ٦٨٣، ٧١٧، ٧٥٤، ٨٥٨، ٨٦٦، ٩٠٩، ١٠٠٤.

اللغات[١].

٣ - موافقة القراءة للمصحف العثماني:

ويعبر الهذلي عن ذلك بقوله: لموافقة أكثر المصاحف[٢]، أو مصحف الحجاز[٣]، أو مصحف المدينة[٤]، أو لموافقة المصحف[٥]، أو لوجوده في المصحف القديم[٦].

٤ - استحسان القراءات لغويا:

ولا يعني هذا إهمال السند، بل المراد أنها أقوىٰ في اللغة وصحيحة في السند أيضًا، ويعبر الهذلي عن ذلك بقوله: لأنه أحسن في العربيَّة[٧] أو لأنه الأفصح[٨] أو الأبلغ[٩]، أو لأنه أجزل في اللفظ[١٠].

وقد كان للهذلي جَولاتٌ وجَولاتٌ مع علوم اللغة من نحوٍ[١١] وصرفٍ[١٢] وأصواتٍ[١٣] ودلالةٍ[١٤] وتعليلاته القيمة علىٰ القراءات. كما سيأتي إن شاء الله.

٥ - موافقة القراء للمعنىٰ والحديث:

وهذا المعيار اتخذه الهذلي في بعض اختياراته مثل: وهو الاختيار للحديث[١٥] أو للقصة[١٦] ويعني بهذا سبب النزول.

---

(١) السابق ٦٠٩، ٦٩٣.
(٢) السابق: ٤٣٧.
(٣) السابق ٧٥٦.
(٤) السابق ٤١٥، ٤٢٦.
(٥) السابق ٤٢٨، ٦٣٢.
(٦) السابق ٦٩٩.
(٧) السابق ٤٢٩.
(٨) السابق ٤٣٥.
(٩) السابق ٦٤٢.
(١٠) السابق ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٦٦، ٧٩٠، ٨٠٧، ٨٠٠، ومعنىٰ الجزالة القوة واللفظ الجزل خلاف الركيك انظر اللسان (جزل) ٢/ ٢٧٦.
(١١) السابق ٤٢٣، ٤٢٤، ٤١٤، ٤٣١، ٤٣٣، ٨٣٥.
(١٢) ٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤١٦.
(١٣) ٤٢٠، ٤٠٨، ٦٢٨، ٦٧٣، ٦٨٢، ٨٦١.
(١٤) ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٣٦، ٦٢٩.
(١٥) الكامل ٤١٥، ١٤٦، ٤١٨، ٦٢٩، ٦٦١، ٧٨٣.
(١٦) السابق ٦٥٨، ٦٨٤، ٦٨٥، ٧٦١، ١٠٠٢، ١٠٠٥.

٦ - كثرة دوران القراءة في القرآن الكريم:

ويعني به ورود القراءة المختارة بلفظها في آيات كثيرة مثل اختياره التخفيف في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيُسْرَ﴾﴿ٱلْعُسْرَ﴾ وقال: لأنه أخف وأجزل مع كثرة دوره في القرآن[١].

ولذلك نرىٰ الهذلي يعلل اختياره أحيانًا بآيات من القرآن تحتوي علىٰ نظير للقراءة وذلك كثير[٢].

هذه أهم المعايير التي استنبطتُها من تعليلات الهذلي لاختياراته، وهناك أمرٌ جديرٌ بالذكر وهو أن الهذلي لم يعلل قراءة بأنها صحيحة السند أو قوية السند، وذلك لأن كل ما أورده في كتابه صحيح السند - في نظره - ولذلك أوردها في كتابه، ولذلك - أيضًا - فإنه اختار أحيانًا ما اختاره بعض الأئمة مثل قوله:

والاختيار ما عليه نافع[٣] (وقد أكثر الهذلي من اختياره).

وممن وافقهم الهذلي أحيانًا في اختياراتهم:

أبو عمرو[٤]، والحسن البصري[٥]، ورويس[٦]، وابن مقسم[٧]، والقباب والزعفراني[٨]، وابن عامر[٩]، وأبو حيوة[١٠]، ومكي[١١].

* * *

(١) السابق ٦٨٩.

(٢) السابق ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٧، ٦٥٠، ٦٥٥، ٦٩٢، ٧٠٣، ١٠١٠.

(٣) السابق ٤٣٤، ٤٨٧، ٤٨٩، ٨٨٢، ٨٨٩، ٩٠٩، ٩١٤، ٩٢٠، ٩٣٢، ٩٩٢.

(٤) السابق ٤٤٨، ٥١٧، ٦٠٥، ٦٧١، ٧٥٥، ٩٥٤، ١٠٠٥، ١١٣٥.

(٥) السابق ٤٣٨. (٦) السابق ٤٣٩.

(٧) السابق ٤٥٥، ٧٨٢، ٧٩٢، ٧٩٥، ٨٠١، ٨٠٩، ٩٤٩.

(٨) السابق ٥٢١. (٨) السابق ١٠٢١. (٨) السابق ١١٤٠.

(١١) السابق ١١٢٣.

الفصل السابع

قبيلة هذيل وعلاقتها بأبي القاسم

كانت شبه الجزيرة العربية - قديمًا - تنقسم إلىٰ عدة قبائل وبطون وتلك القبائل، وهذه البطون تختلف لهجاتُها فيما بينها اختلافًا مرده إلىٰ الفردية والمغايرة حينًا، أو الكسل والشذوذ أحيانًا، كما أن هذا الاختلاف قد يرجع إلىٰ احتكاك القبائل بعضها ببعض مع اختلاف الظروف الاجتماعية إلىٰ غير ذلك من العوامل التي أفاض فيها علماء اللغة والاجتماع[١].

ومن أهم قبائل العرب قبيلةُ هذيل، وهي قبيل متسعة لها بطون كثيرة وكانت ديارهم بالسَرَوات، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف وكان لهم أماكن، ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة، ثم تفرقوا بعد الإسلام «وكانوا ينزلون الحجار عند مجئ الإسلام»[٢]

وقد ذكر ابن عبد ربه بطون هذيل فقال:

«منهم لحيان بن هذيل، وخناعة بن سعد بن هذيل، وحريث بن سعد بن هذيل، وكاهل بن سعد بن هذيل، وصاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل، وصُبح بن كاهل، وكعب بن كاهل فمن بني صاهلة: عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله -ﷺ- شهد بدًا.

ومن بني صُبح بن كاهل: أبو بكر الهذلي الفقيه، ومنهم صخر بن حبيب الشاعر، الذي يقال فيه صخر الغي، وأبو بكر الشاعر واسمه ثابت من عبد شمس، ومنهم أبو ذؤيب الشاعر، وهو خويلد بن خالد»[٣].

---

(١) ينظر **اللهجات العربية في التراث** للدكتور أحمد علم الدين الجندي ص١٢٨ بتصرف يسير.

(٢) **معجم ما استعجم** للبكري ١ / ٩٠- مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥١م.

(٣) **العقد الفريد** لابن عبد ربه ٣ / ٣٠٣- دار إحياء التراث العربي.

فصاحة هذيل:

عرفت هذيل بالفصاحة، فهي إحدىٰ القبائل التي أخذ العلماء عنها اللغة فإن اللغويين استصفوا لغات العرب واختاروا أفصحها «وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد... ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين»[١].

وفي البيان والتبيين للجاحظ:

«قال يونس بن حبيب: ليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو»[٢].

وفي المزهر للسيوطي:

«سئل حسان بن ثابت -رضي الله عنه- من أشعر الناس؟

فقال: ارجلاً أم حيًا؟ قيل: بل حيًا، قال: أشعر الناس حيًا هذيل.

قال محمد بن سلام الجمحي: وأشعر هذيل أبو ذؤيب غيرَ مُدافَع»[٣].

وقال الأصمعي:

قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء ألسنًا. وأعربهم أهل السروات وهن ثلاث وهي الجبال المطلة علىٰ تهامة مما يلي اليمن، فأولها: هذيل: وهي تلي الرمل من تهامة، ثم عليه السراة الوسطىٰ وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد أزد شنوءة وهم بنو الحرث بن كعب بن الحرث بن نصر بن الأزد»[٤].

يقول الإمام الشافعي -رضي الله عنه-:

«ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب.

قال: فبقِيتُ فيهم سبعَ عشرَة سنة أرحل برحيلهم وأنزِلُ بنزولهم فلما رجعت إلىٰ مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الأداب والأخبار»[٥].

---

(١) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٣٣ باختصار - دار الكتب العلمية.

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٥٥. (٣) المزهر ٢/ ٤٨٣. (٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) مقدمة المحقق لديوان الإمام الشافعي ص٨.

وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهذيل إعرابها ومعانيها.

وحدَّث الربيع بن سليمان قال سمعت عبدَ الملك بنَ هشام النحوي صاحب المغازي يقول: «الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة... وقال أحمد بن حنبل: كان الشافعي من أفصح الناس وكان مالك تعجبه قراءته: لأنه كان فصيحًا.

وحدث أبو عبيد القاسم بن سلام قال: «كان الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة»[١].

أبو القاسم وعلاقته بقبيلة هذيل:

ذكرت - فيما سبق - أن أبا القاسم يرجع نسبه إلىٰ أبي ذؤيب الهذلي ذلك العربي الفصيح الذي هاجر من شبه الجزيرة العربية إلىٰ بلاد المغرب في سنة ٧٢هـ.

«وبلاد المغرب: مصطلح يقصد به كل الأقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل شمال القارة الإفريقية، وتتضمن حاليًا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث «برقة وطرابلس وفزان» وتونس والجزائر وأخيرًا المغرب الأقصىٰ الذي كان يعرف إلىٰ عهد قريب باسم مراكش نسبة إلىٰ عاصمته الجنوبية ويمتد طبيعيًا نحو الجنوب إلىٰ تخوم السنغال والنيجر»[٢].

«وبعد أن تم فتح مصر انطلقت القبائل العربية لفتح المغرب وتمكنت من السيطرة علىٰ برقة وزويلة وفزان حيث استقر بعض جندها يَدْعُونَ أهَلها إلىٰ الإسلام»[٣].

ومن القبائل التي استقر بعضها في بلاد المغرب العربي - كما ذكر البلاذري في فتوح البلدان: «عدةٌ من هذيل منهم أبو ذؤيب خويل بن خالد الهذلي»[٤].

ومن هنا نعلم علاقة أبي القاسم الهذلي بقبيلة هذيل.

فما الظواهر الصوتية للهجة هذيل؟ وهل تأثر بها الهذلي في اختياراته أم لا؟

---

(١) المرجع السابق ص١٤.

(٢) تاريخ المغرب العربي ص٣ مطبعة الأسكندرية ١٩٦٤م.

(٣) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص٢٢٩ - القاهرة ١٩٦١م.

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص٢٢٨.

الفصل الثامن

بعض الظواهر الصوتية لهذيل وقياسها على اختيارات الهذلي

١- فحفحة هذيل:

«الفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاء عينًا»[١].

ويفهم من كلام السيوطي أنهم يجعلون كل حاء عينًا، ويبدو لي أن ذلك خاص بحاء (حتىٰ) وليس كل حاء.

بدليل قراءة عبد الله بن مسعود -عتىٰ حين في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝٢٥﴾[٢] ولقد تتبعت مواضع هذه القراءة في كتاب الكامل، فلم أجد لها ذكرًا ومن هنا نعلم موقف الهذلي منها، وهو أنه قرأ «حتىٰ حين» بالحاء كقراءة الجمهور، مما يدل علىٰ عدم تعصبه للهجته.

٢- الاستنطاء

ومعناه: إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، كأنطي في أعطي، وتنسب هذه اللهجة لسعد بن بكر، وهذيل، والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن[٣].

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[٤] أورد الهذلي قراءة الحسن

---

(١) المزهر ١ / ٢٢٢ واللسان (حتت) ٣/ ٤٠.

(٢) وردت في ستة مواضع: الأول: من الآية ٣٥ من سورة يوسف، والثاني والثالث من الآيتين ٢٥، ٥٤ من سورة المؤمنون، والرابع والخامس من الآيتين ١٧٤، ١٧٨ من سورة الصافات والسادس من الآية ٤٣ من سورة الذاريات.

وقراءة «حتىٰ حين» رواها ابن خالويه في المختصر ص١٦٣ والمحتسب ١/ ٣٤٣.

(٣) ينظر المزهر ١/ ١١١، وفي اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص١٤٠، ١٤١.

(٤) الآية الأولىٰ من سورة الكوثر.

والزعفراني عن ابن محيصن «أنطيناك» بالنون كما أورد قراءة الباقين بالعين واختارها لموافقة المصحف[١].

فلم يتعصب الهذلي للهجة قبيلته، والسبب في ذلك هو أن الأصل في القراءة الرواية وموافقة المصحف.

٣- نِعِم (بكسر العين)

يقول سيبويه:

«وأما قول بعضهم في القراءة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[٢]، فحرك العين، فليس علىٰ لغة من قال نِعَم، فأسكن العين، ولكنه علىٰ لغة من قال نِعِم فحرك العين، وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل، وكسروا كما قالوا لِعِب وقال طرفة:

مَا أَقَلَّتْ قَدَمٌ ناعِلها
نِعِمَ السَّاعونَ في الحَي الشُطر[٣]

وأما موقف الهذلي من ذلك، فيتضح من خلال اختياره في قول الله تعالىٰ: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾[٤] حيث يقول:

«بكسر النون: ورش وسالم والعمري وبصري غير أيوب والجحدري وأبو عمرو غير ابن برزة، وابن النادي عن أبي حمدون، ومكي وطلحة وحفص إلا الخزاز، وعصمة عن عاصم وهارون، وابن سعدان عن أبي بكر وهو الاختيار؛ لأنه أشهر»[٥].

فالهذيلي قد اختار كسر النون والعين، ليس لأنه يوافق لهجة هذيل، ولكنه

---

(١) ينظر الكامل ١١٤٣.
(٢) من الآية ٥٨ من سورة النساء.
(٣) الكتاب ٤ / ٤٤٠ والارتشاف لأبي حيان ٢/ ٧٠٣، ومعنىٰ أقلت: حملت أي ما حملت قدم صاحبها طول الحياة، والشطر: بضمتين: جمع شطير وهو الغريب البعيد، وهذا البيت لطرفة في ديوانه ص٧٣ بشرح أحمد بن الأمين، وهو من بحر الرمل.
(٤) من الآية ٢٧١ من سورة البقرة.
(٥) الكامل ٧٠٨.

لأنه الأشهر، ومن هنا نعلم أن العبرة في القراءة الرواية وليس اللهجة.

٤- قُول وبُوع في قيل وبيع:

يقول النحاس:

«فأما هذيل وبنحو دُبير[١] من بني أسد وبنو فَقْعس[٢] فيقولون: قول بواو ساكنة»[٣].

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾[٤] ذكر الهذلي ما في «قيل» من قراءات واختار كسر أوائل الأفعال مثل (قيل وسئ وغيض وحيل) وعلل اختياره بأنه يوافق الأكثر[٥].

ومن هنا نعلم علة اختياره، وعدم تعصبه للهجته.

٥- فصرِهن بكسر الصاد:

ذكر ابن منظور قول الله تعالىٰ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[٦] وقال:

«بالكسر أي قطعهن وشققهن، وقيل وَجِّههنَّ، الفراء، ضمت العامة الصاد وكان أصحاب عبد الله يكسرونها، وهما لغتان، فأما الضم فكثير، وأما الكسر ففي هذيل وسليم»[٧].

وأما موقف الهذلي من ذلك فإنه اختار الضم وقال:

«الباقون بالضم وهو الاختيار: لأنه معناه: أملهن مع قطعهن فهو يجمع المعنيين، فيكون أحسن من الكسرة؛ إذْله معنىٰ واحد وهو القطع»[٨].

واختيار الهذلي - كما نرىٰ - مخالف لما عليه لهجة هذيل وهذا يؤكد ما قررناه

---

(١) بنو دبير: بطن من أسد من خزيمة من العدنانية، انظر جمهرة أنساب العرب ص١٩٥.

(٢) بنو فقعس: بطن من أسد أيضًا - من بني حلمة كما ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٣٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٠.

(٤) من الآية ١١ من سورة البقرة.

(٥) انظر الكامل ٦٣٠.

(٦) من الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٧) اللسان (صير) ٧/ ٤٥٣.

(٨) الكامل ٧٠٤.

من كون الاختيار مبنيًا على الرواية لا على الدراية فحسب.

٦- **الميل إلىٰ كسر أوائل بعض الأسماء:**

(أ) المرء بكسر الميم، وقد ذكر ابن منظور قول الشاعر:

جَمعْتَ أمورًا يُنفِذُ المِرءَ بعضُها

من الحِلم والمعروف والحسب الضَّخم

وقال:

«هكذا رواه السكري بكسر الميم، وزعم أن ذلك لغة هذيل: وهما مِرآن صالحان»[(١)].

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[(٢)] ذكر الهذلي قراءة كسر الميم وقراءة فتحها واختار الفتح وقال:

«وهو الاختيار لموافقة الأكثر»[(٣)].

(ب) إِمِّه (بكسر الهمزة) وقد ذكر النحاس قراءة أهل الكوفة: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾[(٤)] وقال:

«وهذه لغة حكاها سيبويه، قال الكسائي: هي لغة كثير من هوزان وهذيل»[(٥)].

وهذا الموضع لم يذكره الهذلي، ولكنه كان يميل إلىٰ اختيار الأشهر والأكثر قراءة في مثل هذه الحالة مثل (أثارة وإثارة) في قول الله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[(٦)] حيث ذكر قراءة الجمهور بفتح الهمزة وقراءة الحسن بكسر الهمزة واختار

---

(١) اللسان (مرء) ١٣/ ٦٢، والبيت لأبي خراش الهذلي وهو من بحر الطويل التام.

(٢) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٣) الكامل ٦٥٧.

(٤) من الآية ١١ من سورة النساء.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠٣.

(٦) من الآية ٤ من سورة الأحقاف.

الأشهر وهو الفتح[١].

وبعد... فهذه أهم مظاهر لهجة هذيل، وقد رأينا موقف الهذلي منها من خلال اختياراته وأنها علىٰ أساس الرواية والشهرة وموافقة المصحف، بِغَض النظر عما يوافق لهجة قبيلته أو يخالفها.

* * *

(١) ينظر الكامل ص ١٠٧٣.

الفصل التاسع

موازنة بين اختيارات أبي عبيد وأبي حاتم والهذلي

أولاً بين أبي عبيد[١] والهذلي:

وكان أبو عبيد إمام المسلمين في زمانه في علم القراءات والحديث والفقه والعربية وله في كل نوع من ذلك كتب مصنفة مشهور، مرضية عند العلماء، وكان ذا دين وصدق وورع واتباع.

قد عرف وجوه القراءات. فاختار منها للعامة قراءة، أكثرها من الأئمة أصلاً، وأعربها في كلام العرب لغة، وأصحها في التأويل مذهبًا عنده، من غير أن يخالف في شيء من ذلك الأئمة»[٢].

١- والمتتبع لاختيارات أبي عبيد يرىٰ أنه حريص علىٰ متابعة الجماعة، وترجيح ما عليه القراء، وفي هذا يقول:

«والاختيار فيه ما عليه الجماعة، وكذلك كل ما سكتنا عن ذكر الاختيار فما عليه الجماعة هو الاختيار»[٣].

٢- ويظهر تأثره بعلم الحديث الذي برع فيه حتىٰ صار حجة، حيث يختار بعض القراءات لأثر من الآثار أو لحديث من الأحاديث.

فقد «اختار أبو عبيد الياء في «تتوفاهم الملائكة» فقرأ: يتوفاهم يقول ابن مسعود: ذَكِّروا الملائكة، وتعقب عليه ابن قتيبة، فاختار التاء، لأنها قراءة أهل الحرمين، والبصرة وعاصم، قال: والتأنيث إنما هو تأنيث الجماعة، وليس يلحق

---

١) تقدمت ترجمته.

٢) قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين للأندرابي ص ١٤٢ - بتحقيق الدكتور أحمد نصيف الجنائي - مؤسسة الرسالة- ط/ الثالثة لسنة ١٩٨٦م.

٣) الكشف لمكي ٢/ ٣٨.

الملائكة في التاء تأنيث، قال: وقد كان يلزم أبا عبيد أن يقرأه: توفاه رسلنا؛ لأنهم ملائكة ولم يفعل»[١].

٣- كما يلاحظ على اختيارات أبي عبيد التأثر باللغة، فهو يعلل ويفسر كقوله: «نَشراً: بفتح النون، فسره أبوعبيد: بمعنىٰ متفرقة في وجوهها، علىٰ معنىٰ: تنشرها ههنا وههنا ويجوز أن يكون المصدر يراد به المفعول كقولهم: هذا درهم ضَرْب الأمير أي مضروبه وكقوله: «هذا خَلْقُ الله»[٢] أي مخلوقه، فيكون المعنىٰ: يرسل الرياح منشرة أي محياه، ويكون نشرًا بمعنىٰ إنشارًا. وقد حذفت منه الزائد»[٣].

٤- وهنا أمر جدير بالذكر في اختيارات أبي عبيد وهو أسبقية اختياره علىٰ ابن مجاهد[٤] للأئمة السبعة في كتابه.

وأكثر اختيار أبي عبيد إنما هو في الحروف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: «قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة: ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين[٥].

ومن هذا نعلم أن أبا عبيد لم يتأثر باختيار ابن مجاهد للسبعة، وإنما كان له أصل يعتمد عليه في اختياره. وهو ما سبق ذكره.

بينما تأثر بالسبعة المختارين شيخنا الهذلي فقد أورد بعض اختياراته معللة بأنها للسبعة كقوله: «رجزًا: الباقون: بكسر الراء وهو الاختيار لموافقة السبعة»[٦] وقوله: «عشْرة: الباقون: بإسكان الشين، وهو الاختيار؛ لأنه أجزل ولموافقة السبعة»[٧].

---

(١) ينظر المرجع السابق ٢ / ٣٧بتصرف يسير.
(٢) من الآية ١١ من سورة لقمان. (٣) الكشف ١/ ٤٦٦.
(٤) حيث توفي زبو عبيد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي ابن مجاهد سنة ٣٢٤ هـ.
(٥) الإبانة لمكي ص٤٩ تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي.
(٦) الكامل ٦٤٥. (٧) السابق نفسه.

وهاك أمثلة توضح اختيار كلٍ من أبي عبيد والهذلي:

١- في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ (الفاتحة/ ٤).

اختار أبو عبيد (مَلِك) من دون ألف[١]، واختاره الهذلي أيضًا[٢] وقال: وهو الاختيار لأربعة أشياء:

أحدها: أنها قراءة أهل الحرمين. **والثاني:** كقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾[٣].

والثالث: قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[٤]. **والرابع:** أن الملك يعم، والمالك يخص.

فترىٰ موافقة الهذلي لاختيار أبي عبيد، وأن أول سبب في اختياره هذا هو أنها قراءة أهل الحرمين[٥]. فذلك عندهم حجة قوية فوجب الاختيار.

٢- في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ (البقرة/ ٩).

اختار أبو عبيد بدون ألف[٦] وهو اختيار الهذلي أيضًا حيث قال: «وما يخدعون: الباقون بغير ألف وهو الاختيار: إذ المخادعة تجري بين اثنين، وهو يخدع نفسه»[٧].

وهنا يوافق الهذلي أبا عبيد أيضًا.

٣- في قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾ (البقرة/ ١٠).

اختار أبو عبيد (يكّذبون) بالتخفيف[٨]، واختار الهذلي التشديد، وعلل اختياره بقوله:

«لقول عائشة - رضي الله عنها - «عوتبوا علىٰ التكذيب لا علىٰ الكذب»[٩].

وهنا نرىٰ مخالفة اختيار الهذلي لما عليه أبو عبيد، لأنه نظر إلي المعنىٰ والأثر،

---

(١) انظر الكشف ١/ ٢٨. (٢) انظر الكامل ٦٢٥.

(٣) الآية ٢ من سورة الناس. (٤) من الآية ١٦ من سورة غافر.

(٥) أهل الحرمين (مكة والمدينة) هم: نافع وأبو جعفر وشيبة والمسيبىٰ وورش ومجاهد وابن كثير وابن محيصن والأعرج وشبل وابن مِقْسَم وهؤلاء هم أهل الحجاز.

(٦) الكشف ١/ ٢٢٧. (٧) الكامل ٦٢٩. (٨) الكشف ١/ ٢٢٨.

(٩) الكامل ٦٢٩.

ولأن التكذيب يتضمن معنىٰ التخفيف كما قال مكى[١].

٤- وفي (قيل وسيق)[٢] ونحوهما:

اختار أبو عبيد الكسر: أي كسر أوائل الأفعال كسرًا خالصًا بدون إشمام[٣] وهو اختيار الهذلي أيضًا[٤]، لموافقة الأكثر.

وهنا نرىٰ موافقة الهذلي لما عليه الجماعة بما فيهم أبو عبيد.

٥- وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ (البقرة/ ٣٦).

اختار أبو عبيد بغير ألف (فأزلهما)[٥] وكذلك الهذلي الذي أوضح معناه فقال: «لأن معناه استزلهما. قال ابن العزيزي: أزلهما: نحاهما وأزلهما: استزلهما والقصة تدل علىٰ الاستزلال، وهو محمول علىٰ أن آدم لم يكن نبيًا حين أخرج من الجنة، إذ الأنبياء معصومون»[٦].

٦- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة/ ١٢٥)

اختار أبو عبيد قراءة الكسر[٧] أي كسر الخاء، وكذلك اختيار الهذلي، قال الهذلي: «بكسر الخاء، وهو الاختيار، لحديث عمر -رضي الله عنه-، ولموافقة الأكثر»[٨].

ويتفق الهذلي - مع أبي عبيد في اختياره. ولم يخرج عنه.

٧- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ (البقرة/ ١٥٨)

اختار أبو عبيد (تَطْوَع) بالتاء وفتح العين[٩]، وكذلك اختيار الهذلي لتحقيق الشرط[١٠].

٨- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ (البقرة/ ١٦٥).

---

(١) انظر الكشف ١/ ٢٢٨.

(٢) (قيل) من الآية ١١ من سورة البقرة، و(سبق) من الآيتين: ٧١، ٧٣ من الزمر.

(٣) المرجع السابق ١/ ٢٣٢. (٤) الكامل ٦٣١. (٥) الكشف ١/ ٢٣٦.

(٦) الكامل ٦٣٧. (٧) الكشف ١/ ٢٦٤. (٨) الكامل ٦٦١.

(٩) الكشف ١/ ٢٧٠. (١٠) الكامل ٦٦٦.

اختار أبو عبيد القراءة بالياء، واختار الهذلي القراءة بالتاء[١] وقال: «بالتاء وهو الاختيار، لموافقة أهل المدينة، ولأن معناه: ولو ترىٰ يا محمد الذين ظلموا إذ يرون العذاب لرأيت أمرًا عظيمًا»[٢].

٩- **وفي قوله تعالىٰ:** ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ (البقرة/ ١٧٧).

اختار أبو عبيد[٣] قراءة الرفع في «البر» اسم ليس، وكذلك الهذلي حيث يقول:

«بالرفع، وهو الاختيار: لأن «البر» اسم ليس و «أن تولوا» خبره دليله ما روىٰ في قراءة عبد الله» بأن تولوا» وهكذا قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾[٤] لم يُختلف فيه، فهو شاهد لهذا الأول»[٥].

ونرىٰ موافقه الهذلي - أيضًا - لأبي عبيد في اختياره.

١٠- **وفي قوله تعالىٰ:** ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ (البقرة/ ٢١٩)

اختار أبو عبيد القراءة بالباء[٦] في كبير وهو اختيار الهذلي أيضًا الذي علل ذلك بقوله:

«وهو الاختيار، والتفسير يوافقه، أتىٰ: أعظم من نفعهما»[٧]

١١- **وفي قوله تعالىٰ:** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠).

اختار أبو عبيد التنوين علىٰ الصرف؛ لأنه أعجمي خفيف كنوح ولوط[٨]، وهو اختيار الهذلي حيث قال:

«عزير: منون... وهو الاختيار: لأنها إضافة غير محضة فالتنكير أولي»[٩].

١٢- **وفي قوله تعالىٰ:** ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ (يوسف/ ١٩).

«اختار أبو عبيد (يا بشرىٰ) بغير ياء: اسم رجل دعاه إلىٰ المستقىٰ واحتج

---

(١) الكشف ١/ ٢٧٣.
(٢) الكامل ٦٦٩.
(٣) الكشف ١/ ٢٨١.
(٤) من الآية ١٨٩ من سورة البقرة.
(٥) الكامل ٦٧٤.
(٦) الكشف ١/ ٢٩٢.
(٧) الكامل ٦٩٠.
(٨) الكشف ١/ ٥٠١.
(٩) الكامل ٨٥٤.

أبو عبيد في اختياره لذلك أنه يجمع المعنيين: اسمًا لرجل ونداء البشري»[١].

بينما اختار الهذلي: (يبشرَاي) علىٰ الإضافة حيث يقول:

«بشرايٰ: علىٰ الإضافة، وهو الاختيار، علي البشارة لا علىٰ اسم الغلام»[٢].

وهنا نرىٰ مخالفة الهذلي لاختيار أبي عبيد.

١٣ - وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد/ ٣٩).

اختار أبو عبيد قراءة التشديد (ويُثَبّت) علىٰ معنىٰ:

يقر ما كتبه فلا يمحوه[٣]، بينما اختار الهذلي قراءة التخفيف لقوله: «يمحو الله»[٤].

أي: أن المعروف مع المحو الإثبات فالمعنىٰ: يمحو الله ما يشاء.

١٤ - وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ (الكهف/ ٩٤).

اختار أبو عبيد القراءة بالألف (خراجًا)[٥]، بينما اختار الهذلي بغير ألف إلا في قوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾[٦] فإنه بالألف قال:

«ليفرق بين مال جعله الآدمي وبين ما وضعه الله»[٧].

واختيار الهذلي هنا يخالف اختيار أبي عبيد.

بيان واستنتاج:

- مما سبق يتضح لنا أن كثيرًا من اختيارات الهذلي توافق اختيارات أبي عبيد وإن لم ينص الهذلي علىٰ ذلك، إذ إنها توافق غيره أيضًا كما توافقه، فللهذ اعتبارات وشروط إن توافرت في قراءة اختارها وإلا فلا.

كما رأينا بعض اختياراته تخالف ما اختاره أبو عبيد، ومن مظاهر الاختلاف كما رأينا - ما يلي:

١ - الاختلاف في القراءتين من جهة التخفيف والتثقيل كما في: يَكْذِبُو

---

(١) الكشف ٢/ ٧.
(١) الكامل ٨٩١.
(١) الكشف ٢/ ٣٢.
(٤) الكامل ٩٠٣.
(٤) الكشف ٢/ ٧٨.
(٤) من الآية ٧٢ من سورة المؤمنون.
(٧) الكامل ٩٤٦.

ويُكَذِّبُون، ويُثْبت ويُثَبّت - نظرًا لاختلاف التركيب في كل.

٢- الاختلاف في المعني كما في «ولو تري» ولو يرىٰ.

٣- الاختلاف في الإعراب كما في بشرىٰ وبشراىٰ.

وفي نهاية الأمر يجدر بنا أن نعلم أن اختيارات أبي عبيد والهذلي لم تخرج عن القراءات الصحيحة، وأن الهذلي تأثر بمن سبقه سواء أكانوا من أصحاب الاختيارات كأبي عبيد أم من غيرهم كابن مجاهد الذي لم يختر قراءة لنفسه، ولكنه اختار من القراء سبعة.

ثانيا: بين أبي حاتم [١] والهذلي:

لأبي حاتم جهد كبير في القراءات القرآنية، وله اختيار وافق فيه العربية والأثر، «وجمع من القراء نحو عشرين رجلًا من الأئمة ممن هو فوق السبعة المعروفين، وترك ذكر حمزة والكسائي وابن عامر»[٢].

ولعل أكثر ما يميز أبا حاتم في اختياره الاهتمام باللغات والميل إلىٰ التوجيهات اللغوية، وكيف لا وهو «إمام البصرة في النحو والقراءاة واللغة»[٣].

وهذه أمثلة من اختياراته الهذلي ليَضِحَ الأمر:

١- **في قوله تعالىٰ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ (الفاتحة/ ٤).

اختار أبو حاتم قراءة «مالك» بالألف[٤]، وقد سبق أن ذكرت أن الهذلي اختار «مَلِك» بدون ألف.

٢- **وفي قوله تعالىٰ:** ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة/ ٨٧).

اختار أبو حاتم قراءة: «القدُس» بالضم[٥]، وهو اختيار الهذلي أيضًا، لموافقة أهل المدينة، لأن أفخم[٦].

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) ينظر الإبانة ص٦ بتصرف يسير.
(٣) طبقات القراء ١/ ٣٢٠.
(٤) الكشف ١/ ٣٢.
(٥) المرجع السابق ١/ ٢٥٣.
(٦) الكامل ٦٥٣.

٣- وفي قوله تعالىٰ: ﴿بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ﴾ (البقرة/ ١٨٩).

اختار أبو حاتم الضم في مثل (البُيوت والغُيوب) وقال:

« لا يجوز غير الضم، ولا يكسر الأول للياء؛ لأن الياء متحركة مضمومة، وليس في الكلام «فِعُيل» فكيف تروم مالا يكون في الكلام»[١].

واختار الهذلي الضم أيضًا وقال:

«والاختيار ضم الباب (أي: مثل البُيوت والغُيوب والعُيون) لموافقة أكثر أهل المدينة لأن إتباع الضمة أولىٰ ولأن «فِعُل» في كلام العرب قليل، ولأن الخروج من الكسرة إلىٰ الضمة أضعف، لأن الطلوع من الأسفل إلىٰ فوق أصعب من النزول من فوق إلىٰ أسفل عند العرب، فلهذه المعاني اخترت الضم، وليطابق اللفظ»[٢].

وكلام الهذلي - هنا - أكثر إنصافًا، وأولىٰ قبولاً من كلام أبي حاتم، إذ الحكم بأنه لا يجوز غير الضم فيه إجحاف حيث جاء الكسر في بعض القراءات[٣]، وذهب النحاس إلىٰ أنها لغة[٤].

٤- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة/ ١٩١).

اختار أبو حاتم القراءة بالألف وكذلك الهذلي الذي قال: «بألف[٥]، من القتال، وهو الاختيار؛ لموافقة أهل الحرمين»[٦].

ونرىٰ - هنا - موافقة اختيار الهذلي لما عليه أبو حاتم.

٥- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ (البقرة/ ٢٤٥).

---

(١) الكشف ١/ ٢٨٥. (٢) الكامل ٦٨١.

(٣) وهي قراءة ابن كثير في رواية ابن فليح، وابن عامر والكسائي وحمزة برواية العجلي وقالون عن نافع وعباس عن أبي عمرو، وابن ذكوان وخلف وحماد ويحيىٰ عن عاصم وكذا عنه في رواية محمد بن غالب عن الأعشىٰ والشموني، والأعمش وأبو بكر.

(٤) ينظر إعراب النحاس ١/ ٢٤٢.

(٥) الكشف ١/ ٢٨٥. (٦) الكامل ١/ ٢٨٥.

اختار أبو حاتم في ذلك أن يتبع خط المصحف وقال:

«هما لغتان، فكيف قرأت فأنت مصيب».

ولا أدري أي مصحف يتبع في هذا، إذا كان في بعض المصاحف بالسين وبعضها بالصاد؟

واختار الهذلي في «يبصط، وبصطه» في البقرة والأعراف بالصاد والباقي بالسين قال: «وهو الاختيار: لوجوده في المصحف القديم»[(١)].

يعني: مصحف عثمان - رضي الله عنه -:

٦- وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (النساء/ ٩٤).

اختار أبو حاتم القراءة بالياء (فتبينوا)[(٢)] وهو اختيار الهذلي، قال:

«من البيان، وهو الاختيار؛ لموافقة أكثر القراء، والقصة تدل عليه، وهي قصة أسامة بن زيد مع الكافر الذي أظهر الإيمان فقتله أسامة فعاتبه فيه رسول الله - ﷺ - فقال أسامة: إنما قالها توقيًا لنفسه يا رسول الله فقال رسول الله - ﷺ - هلا شَقَقتَ عن قلبه «القصة»[(٣)].

وهنا يوافق الهذلي أبا حاتم في اختياره ويؤكد ذلك بما ورد في سبب النزول مما يرجح أن المراد: البيان.

وأرىٰ أن ما ذكره الهذلي لا يرجح ذلك. ولا يمنع من أن يكون المراد هو التَثَبُّت، فالقراءتان متعاضدتان غير متناقضتين.

٧- وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ (النساء/ ١٢٨).

اختار أبو حاتم (أن يَصَّالحَا) بفتح الياء وبالألف[(٤)]، وهو اختيار الهذلي الذي

---

(١) الكامل ٦٩٨. (٢) الكشف ١/ ٣٩٥.

(٣) الكامل ص٧٦١، والحديث رواه البخاري (رقم ٤٢٦٩) ومسلم (رقم ٩٦) صحيح البخاري مراجعة الشيخ محمد علي القطب وهشام البخاري - ط/ الثانية ١٩٩٧م وصحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية.

(٤) الكشف ١/ ٣٩٩.

قال: «وهو الاختيار لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾[١].

يقصد أن أمر الصلح يتعلق بالزوج والزوجة، فأصل «يَصَّالحا» يتصالحا وأما «يُصلحا» يعني الوَليَّان المصلحان. والله أعلم.

٨- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ (المائدة/ ٢).

«لم يُجز أبو حاتم إسكان النون. ورآه غلطًا؛ -: لأن المصادر لا تأتي علىٰ «فَعْلان بالإسكان، إنما يأتي بالإسكان الصفات»[٢] وكأنه يختار الفتحَ، وإسكانُ النونِ: قراءةٌ صحيحة، وله وجه في العربية وإن كان غيره أقوىٰ، فلا ينبغي أن يقال عنه: إنه غلط أو غير جائز واختار الهذلي - أيضًا فتح النون وقال:

«وهو الاختيار: لأن أكثر المصادر علىٰ هذا، كالحدَثانِ والضربان»[٣] ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن أبا حاتم - رحمه الله - قد اختار قراءة من خلال السبعة، بيد أنه أصدر بعض الأحكام اللغوية التي تتعارض والقراءات الصحيحة.

وأما الهذلي فقد ركن إلىٰ إثبات القراءات وعدم توهينها أو تخطئتها، مع الإشارة إلىٰ اختياره المصحوب بالتعليل غالبًا، وإن كان الهذلي لم يجعل كتابه الكامل لعلل وإنما جعله لإثبات الأسانيد وعلىٰ كلٍ فإن اختيار أبي حاتم يُعَدَّ أصلاً لاختياراتِ من بعده، وقد قيل عنه: «اختار اختيارًا حسنًا اتبع فيه الأثر والنظر وما صح - عنده في الخبر عن النبي ﷺ - وعن الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم»[٤].

* * *

(١) من الآية ١٢٨ من سورة النساء، وانظر الكامل، ص٧٦٤.

(٢) الكشف ١/ ٤٠٤.

(٣) الكامل ٧٧٠.

(٤) ينظر معرفة القراء ١ / ١٧٩ بتصرف يسير.

الفصل العاشر

اختيارات الهذلي في الميزان

يجدر بنا - بعد هذه التطوافة حول اختيارات الهذلي - أن نضع اختياراته في ميزان القراءة واللغة، حتىٰ نتعرف أكثر علىٰ عمل الهذلي، وما هو الجديد ليه، وهل كان مجرد ناقل لاختيارات السابقين عليه، أم أن له مشاركة في تأصيل قواعد الاختيار.

وحتىٰ يتسنىٰ لنا ذلك، فلا بد من بسط ما اختاه الهذلي علي مائدة البحث، وتصنيف الاختيارات من حيث السبعية والعشرية وغيرها من جهة، ومن حيث المستويات اللغوية من جهة أخرىٰ.

أولاً: القراءات الشاذة في اختيارات الهذلي[١]:

يبدو اهتمام الهذلي بالقراءة الصحيحة (السبعية والعشرية) جليًا في اختياراته.

فقد كنت أظن أن الهذلي يميل إلىٰ اختيار الشاذ من القراءة: نظرًا لكثرة القراءات في كتابه، ولكن بعد أن تصفحت الكتاب ونظرت فيه مرة بعد مرة، رأيت أن نسبة القراءات السبعية والعشرية في اختياراته كبيرة جدًا تقدر بـ٩٦٪ تقريبًا، إذ يصل عدد اختياراته في الأصول والفرش إلىٰ أربعة وعشرين وتسعمائة وألف اختيار، منها نيف وسبعون اختيارًا من شواذ القراءات وهي ما دون العشرة، وهي كما يلي:

١ - يَخطف[٢] (باختلاس حركة الخاء مع تشديد الطاء)[٣].

---

(١) تمثل نسبة القراءات الشاذة في اختيارات الهذلي ٤٪ تقريبًا.

(٢) من الآية ٢٠ من سورة البقرة.

(٣) هي قراءة بعض أهل المدينة، قال أبو الفتح: «إنما هو اختلاس وإخفاء» انظر المحتسب ١ / ٦١ وراجع الكامل ص ٦٣٣.

٢- بعوضة[١] (بالرفع)[٢].

٣- ﴿صبغَةُ الله﴾[٣] (بالرفع)[٤].

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيكم القِصَاصَ﴾[٥] (ببناء الفعل للفاعل ونصب القصاص)[٦].

٥- ﴿زُيِّنَ للذين كفرُوا الحَيَاةَ﴾[٧] (ببناء الفعل للفاعل ونصب الحياة)[٨]

٦- ﴿نَنشُزُهَا﴾[٩] (بفتح النون وضم الشين والزاي)[١٠].

٧- ﴿وتُكفرُ عنكم سيئاتُكم﴾[١١] (بضم التاء ورفع الراء، ورفع التاء من سيئاتكم)[١٢].

٨- ﴿حَرَّمَ﴾[١٣] (بالبناء للفاعل)[١٤].

---

(١) من الآية ٢٦ من سورة البقرة.

(٢) قراءة الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة، وأبي حاتم عن أبي عبيدة عن رؤية ابن العجاج، وقطرب ومالك بن دينار، والأصمعي عن نافع وابن السماك انظر:
مختصر ابن خالويه/ ٤ والمحتسب: ١/ ٤.

(٣) من الآية ١٣٨ من سورة البقرة.

(٤) هي قراءة ابن هرمز الأعرج وابن أبي عبلة، وينظر:
معاني الفراء ١/ ٨٣. والبحر المحيط ١/ ٥٨٤.

(٥) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة.

(٦) نسبت إلىٰ رويس عن يعقوب، وينظر إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٢٩.

(٧) من الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

(٨) قراءة مجاهد وحميد بن قيس وأبي حيوة، وابن محيصن وأبي كعب والحسن وابن عبلة، ينظر معاني الفراء ١ / ١٣١ ومختصر ابن خالويه ١٣ والإتحاف ١/ ٤٣٥.

(٩) من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة.

(١٠) قراءة ابن عباس وقتادة والنخعي والأعمش وأبي بكر عن عاصم ينظر البحر المحيط ٢/ ٣٠٥.

(١١) من الآية ٢٧١ من سورة البقرة.

(١٢) قراءة ابن هرمز فيما حكي عنه العدوي، ينظر البحر ٢/ ٣٣٩.

(١٣) من الآية ٥٠ من سورة آل عمران.

(١٤) قراءة عكرمة ينظر الكشاف ١ / ٤٣١ والبحر المحيط ٢/ ٤٩٠.

٩- ﴿تَصْعَدون﴾[١] (بفتح التاء والعين)[٢].

١٠- ﴿إن تَبْدُ لَكُم﴾[٣] (ببناء الفعل للفاعل)[٤].

١١- ﴿ولاَ يَطْعَمُ﴾[٥] (بفتح الياء والعين)[٦].

١٢- ﴿فَقَطعَ دَابرَ﴾[٧] (ببناء الفعل للفاعل)[٨].

١٣- ﴿ليَقْضِي﴾[٩] (ببناء الفعل للفاعل)[١٠].

١٤- ﴿نَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾[١١] (بنون العظمة)[١٢].

١٥- ﴿فالِقَ الإصباحِ﴾[١٣] (بالنصب)[١٤].

١٦- ﴿ويُنعِهِ﴾[١٥] (بضم الياء)[١٦].

---

(١) من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

(٢) قراءة أبي عبد الرحمن السلمي والحسن ومجاهد وقتادة واليزيدي وابن محيصن وأبي رجاء العطاردي وأبان عن عاصم وهارون عن ابن كثير ينظر البحر المحيط ٣/ ٨٩، والإتحاف ١/ ٤٩١.

(٣) من الآية ١٠١ من سورة المائدة.

(٤) قراءة ابن عباس ومجاهد والخزاعي عن أبي عمرو، وينظر: مختصر ابن خالويه ٣٥، والبحر المحيط ٤/ ٣٦.

(٥) من الآية ١٤ من سورة الأنعام.

(٦) قراء مجاهد وابن جبير والأعمش وأبي حيوة وعمرو بن عبيد وعكرمة والحسن والمطوعي وأبي عمرو في رواية عنه، انظر معاني الأخفش ١ / ٤٨٣ط / عالم الكتب، والإتحاف ٢/ ٦.

(٧) من الآية ٤٥ من سورة الأنعام.

(٨) قراءة عكرمة، ينظر البحر المحيط ٤/ ١٣٥.

(٩) من الآية ٦٠ من سورة الأنعام.

(١٠) قراءة طلحة وأبي رجاء، ينظر مختصر ابن خالويه ٣٧، وإعراب النحاس ٢ / ١٣ط/ دار الكتب العلمية.

(١١) من الآية ٧٣ من سورة الأنعام.

(١٢) قراءة عبد الوارث عن أبي عمرو وإسحاق بن يوسف، ينظر البحر المحيط ٤/ ١٦٥.

(١٣) من الآية ٩٦ من سورة الأنعام.

(١٤) ينظر الكشاف ٢/ ٣٨.

(١٥) من الآية ٩٩ من سورة الأنعام.

(١٦) قراءة قتادة والضحاك وابن محيصن والحسن وابن أبي إسحاق وأبي السمال والأعمش ومحمد

١٧- ﴿مَلِكَينِ﴾[١] (بكسر اللام)[٢].

١٨- ﴿وَرِيْشًا﴾[٣] (بالألف)[٤].

١٩- ﴿بُشُرًا﴾[٥] (بضم الباء والشين)[٦].

٢٠- ﴿أَوَ لم نَهْدِ للذِينَ﴾[٧] (بالنون)[٨].

٢١- ﴿يسبتُونَ﴾[٩] (بضم الباء)[١٠].

٢٢- ﴿يَغْفِرْ﴾[١١] (ببناء الفعل للفاعل)[١٢].

٢٣- ﴿فَيكُوىٰ بِهَا﴾[١٣] (بالياء)[١٤].

= ابن السميفَع، ينظر الإتحاف ٢/ ٢٥.

(١) من الآية ٢٠ من سورة الأعراف.

(٢) قراءة ابن عباس والحسن بن علي والضحاك ويحيىٰ بن أبي كثير والزهري ويعلىٰ بن حكيم عن ابن كثير وقتيبة عن الكسائي، ينظر مختصر ابن خالويه ٢٤، البحر المحيط ٤/ ١٩٥.

(٣) من الآية ٢٦ من سورة الأعراف.

(٤) قراءة عثمان وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وعاصم في رواية المفضل والضبىٰ وأبان وأبي زيد وعلىٰ بن الحسين وغيرهم ينظر المحتسب ١/ ٢٤٦، الإتحاف ٢/ ٤٦.

(٥) من الآية ٥٧ من سورة الأعراف.

(٦) قراءة ابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة وحسين المروزي عن حفص عن عاصم وأبي الجوزاء وأبي عمران، وينظر البحر المحيط ٤/ ٣٢٠، التقريب والبيان ص٣٠٠.

(٧) من الآية ١٠٠ من سورة الأعراف.

(٨) قراءة يعقوب برواية زيد والسلمي وقتادة وابن عباس ومجاهد والحسن وأبي بحرية، ينظر: مختصر ابن خالويه ٤٥، الكشاف ٢/ ٩٩، والبحر المحيط ٣/ ٣١٠.

(٩) من الآية ١٦٣ من سورة الأعراف.

(١٠) قراءة عاصم بخلاف عنه وهي قراءة جبلة عن المفضل عنه وعيسىٰ بن عمر والمطوعي والحسن ينظر: مختصر ابن خالويه ٤٧، الإتحاف ٢/ ٦٦.

(١١) من الآية ٣٨ من سورة الأنفال.

(١٢) ينظر: الكشاف ٢/ ١٥٧، البحر المحيط ٤ / ٤٨٩الدر المصون ٣/ ٤١٩.

(١٣) من الاية ٣٥ من سورة التوبة.

(١٤) قراءة أبي حيوة، ينظر: مختصر ابن خالويه ٢٥، الكشاف ٣/ ١٨٧، البحر المحيط ٥/ ٣٩، الدر المصون ٣/ ٤١١.

٢٤- ﴿أن يَقْبَلَ﴾[١] (بالباء للفاعل)[٢].

٢٥- ﴿فريضَةٌ من الله﴾[٣] (بالرفع)[٤].

٢٦- ﴿خَلْف﴾[٥] (بفتح الخاء وسكون اللام)[٦].

٢٧- ﴿خَلَفوا﴾[٧] (بفتح الخاء واللام مخففًا)[٨].

٢٨- ﴿أَنفَسِكم﴾[٩] (بفتح الفاء وكسر السين)[١٠].

٢٩- ﴿سُرِّق﴾[١١] (بتشديد الراء والبناء للمفعول)[١٢].

٣٠- ﴿يُدْخَلونها﴾[١٣] (بالبناء للمفعول)[١٤].

---

(١) من الآية ٥٤ من سورة التوبة.

(٢) ينظر مختصر ابن خالويه ٥٢.

(٣) من الآية ٦٠ من سورة التوبة.

(٤) قراءة إبراهيم بن أبي عبلة، ينظر معاني القراء ١/ ٤٤٤، والكشاف ٢/ ١٩٨، البحر المحيط ٥/ ٦٢.

(٥) من الآية ١٨ من سورة التوبة.

(٦) قراءة ابن عباس وأبي حيوية وعمرو بن ميمون وخلف وأبي بحرية، ينظر مختصر ابن خالويه ٥٤، الدر المصور ٣/ ٤٨٧.

(٧) من الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٨) قراءة عكرمة بن هارون المخزومي وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد ومعاذ القارئ وحميد وأبي عمرو في رواية عبد الوارث وعباس عنه، ينظر: المحتسب ١/ ٣٠٥، الكشاف ٢/ ١١٨، روح المعاني ١١/ ٤١.

(٩) من الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(١٠) قراءة ابن عباس وأبي العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب الرؤاسي كلاهما عن أبي عمرو وعبد الله بن قسيط المكي ورويس عن يعقوب والزهري ورويت عن الرسول ﷺ وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما ينظر: مختصر ابن خالويه ٥٦، والمحتسب ١/ ٣٦، الكشاف ٢/ ٢٢٣، البحر المحيط ٥/ ١٢١

(١١) من الآية ٨١ من سورة يونس.

(١٢) قراءة ابن عباس وأبي رزين والكسائي في رواية قتيبة عنه وأبي البرهسم وابن أبي عبلة والضحاك، وابن أبي سريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب: ينظر: معاني الفراء ٢/ ٥٣، البحر المحيط ٥/ ٣٢٩.

(١٣) من الآية ٢٣ من سورة الرعد.

(١٤) قراءة المازني عن ابن كثير واللؤلوي ويونس عن أبي عمرو النخعي، ينظر الكشاف ٢/ ٤٠٨، والبحر ٥/ ٣٧٧.

٣١- ﴿ليُهلكن﴾[١] (بضم الياء)[٢].

٣٢- ﴿جَعل السبتَ﴾[٣] (ببناء الفعل للفاعل)[٤].

٣٣- ﴿ووَضع الكتاب﴾[٥] (ببناء الفعل للفاعل)[٦].

٣٤- ﴿كَيْدَ ساحر﴾[٧] (بالنصب)[٨].

٣٥- ﴿وبالله لأكيدن﴾[٩] (بحرف القسم الباء)[١٠].

٣٦- ﴿نُقَدِّر عليه﴾[١١] (بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشدودة)[١٢]

٣٧- ﴿تُذْهِلُ كلَّ﴾[١٣] (بالبناء للفاعل من أذهل الرباعي)[١٤].

٣٨- ﴿وتُرى الناسُ﴾[١٥] (بالبناء للمفعول)[١٦].

---

(١) من الآية ١٣ من سورة إبراهيم.

(٢) قراءة أبي حيوة، ينظر مختصر ابن خالويه ٦٨ وفتح القدير ٣/ ١٠٠.

(٣) من الآية ١٢٤ من سورة النحل.

(٤) قراءة أبي حيوة والحسن والنخعي واليزيدي والمطوعي، ينظر: مختصر ابن خالويه ٧٤، الد المصون ٤/ ٣٦٦، الإتحاف ٢/ ١٩١.

(٥) من الآية ٤٩ من سورة الكهف.

(٦) قراءة زيد بن علي، ينظر: البحر المحيط ٦/ ١٢٨، روح المعاني ١٥/ ٢٩١.

(٧) من الآية ٦٩ من سورة طه.

(٨) قراءة مجاهد وحميد وزيد بن علي، ينظر الفراء ٢/ ١٨٢، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣، والد المصون ٥/ ٤٠، البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.

(٩) من الآية ٥٧ من سورة الأنبياء.

(١٠) قراءة معاذ بن جبل وأحمد بن حنبل وابن محيصن، انظر: مختصر ابن خالويه ٦٥، ومعا الزجاج ٣/ ٣٩٥، والدر المصون ٥/ ٩٣.

(١١) من الآية ٨٧ من سورة الأنبياء.

(١٢) قراءة الزهري وعمر بن عبد العزيز الماوردي وابن عباس وابن يعمر وحميد بن قيس.

(١٣) من الآية ٢ من سورة الحج.

(١٤) قراءة اليماني وابن زبي عبلة وأبي عمران الجوني، ينظر:
معاني الفراء ٢ / ٢١٤ ومعاني الزجاج ٣/ ٤٠٩، البحر ٦/ ٣٢٥، روح المعاني ١٧/ ١١٢.

(١٥) من الآية ٢ من سورة الحج.

(١٦) قراءة الزعفراني وعباس في اختياره، ينظر:

٣٩- ﴿سورةً أنزلناها﴾[١] (بالنصب)[٢].

٤٠- ﴿حَرَّم ذلك﴾[٣] (ببناء الفعل للفاعل)[٤].

٤١- ﴿تَلْقُونه﴾[٥] (بفتح التاء وضم القاف مخففًا)[٦].

٤٢- ﴿نوَّر السماوات﴾[٧] (فعل ماضٍ علىٰ وزن فعل)[٨].

٤٣- ﴿فاستعانه﴾[٩] (بالعين المهملة، والنون الموحدة)[١٠].

٤٤- ﴿ولكنْ رسولُ الله﴾[١١] (بتخفيف لكن، ورفع رسول)[١٢].

= الكشاف ٣/ ٤، الدر المصون ٥ / ١٢٢المعاني ١٧/ ١١٣.

(١) بداية سورة النور.

(٢) قراءة عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسىٰ بن عمر الثقفي البصري، وعيسىٰ بن عمر الهمذاني الكوفي وأبي رزين وابن أبي عبلة وأبي حيوة ومحبوب عن أبي عمرو وأم الدرداء وابن محيصن وطلحة بن مصرف، ينظر: المحتسب ٢/ ١٠٠، الدر المصون ٥/ ٢٩٧، البحر المحيط ٦/ ٣٩٢.

(٣) من الآية ٣ من سورة النور.

(٤) قراءة أبي البَرَهْسِم، وينظر: البحر ٦/ ٣٩٥، روح المعاني ١٨/ ٨٨.

(٥) من الآية ١٥ من سورة النور.

(٦) قراءة ابن السميفع وعمر بن الخطاب، ينظر:
المحتسب ٢/ ١٠٤، الدر المصون ٥/ ٢١٣، روح المعاني ١٨/ ١١٩.

(٧) من الآية ٣٥ من سورة النور.

(٨) قراءة علي بن أبي طالب وأبي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي وثابت بن أبي حفصة والقورصي ومسلمة ابن عبد الملك وأبي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وابن أبي عبلة وأبي كعب وأبي المتوكل وابن السميفع، ينظر:
البحر المحيط ٦/ ٤١٨، روح المعاني ١٨/ ١٦٤.

(٩) من الآية ١٥ من سورة القصص.

(١٠) قراءة سيبويه وابن مقْسَم والزعفراني والحسن، وينظر مختصر ابن خالويه ١١٢ وفيه: «فاستعائه» بالعين المهملة سيبويه قال المحقق: لعل الصواب فاستعانة. قلت: هو كذلك: لأن غيره ورد عنه قراءة فاستعانه منسوبة إلىٰ سيبويه، مثل أبي حيان في البحر المحيط ٧/ ١٠٥.

(١١) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.

(١٢) قراءة زيد بن علي وابن أبي عبلة، ينظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ والمحتسب ١/ ٣٥، روح المعاني ٢٢/ ٤٢.

٤٥- ﴿ويتوبُ﴾[١] (بالرفع)[٢].

٤٦- ﴿لاَ يقضِي .... ولا يُـخَفِّف﴾[٣] (بالبناء للفاعل فيهما)[٤].

٤٧- ﴿يٰسُ﴾[٥] (بالضم)[٦].

٤٨- ﴿والطيرُ محشورة﴾[٧] (بالرفع فيها)[٨].

٤٩- ﴿ولا تَشْطُطْ﴾[٩] (بفتح التاء وسكون الشين وضم الطاء الأولىٰ)[١٠].

٥٠- ﴿كذَّاب كفَّار﴾[١١] (بصيغة فعَّال فيهما)[١٢].

٥١- ﴿قد جاءتكِ... فكذبتِ﴾[١٣] (بكسر الكاف والتاء)[١٤].

---

(١) من الآية ٧٣ من سورة الأحزاب.

(٢) قراءة الحسن والأعمش والمطوعي والقاضي وابن زياد عن حمزة، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٤٤، الإتحاف ٢/ ٣٧٨.

(٣) من الآية ٣٦ من سورة فاطر.

(٤) ينظر إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٥١.

(٥) بداية سورة يس.

(٦) قراءة هارون الأعور عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي، ومحمد بن السميفع وابن عباس، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٠٣، الدر المصون ٥/ ٤٧٤، روح المعاني ٢٢/ ٢١١

(٧) من الآية ١٩ من سورة ص.

(٨) قراءة ابن أبي عبلة والجحدري وعكرمة وأبي الجوزاء والضحاك، ينظر مختصر ابن خالويه ١٢٩، الدر المصون ٥/ ٥٢٩، البحر المحيط ٧/ ٣٧٤.

(٩) من الآية ٢٢ من سورة ص.

(١٠) قراءة أبي رجاء وابن أبي عبلة والحسن وأبي حيوة واليماني وقتادة في إحدىٰ روايتيه وأبي إبراهيم والجحدري وهي رواية الخزاعي عن العمري عن أبي جعفر، ينظر مختصر ابن خالويه ١٢٩، والمحتسب ٢ / ٢٣١وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٩٢.

(١١) من الآية ٣ من سورة الزمر.

(١٢) قراءة أنس بن مالك وعاصم الجحدري والحسن والأعرج وابن يعمر، ينظر: مختصر ابن خالويه ١٣١، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٠٥.

(١٣) من الآية ٥٩ من سورة الزمر.

(١٤) قراءة ابن يعمر والجحدري والزعفراني وابن مقسم وأبي حيوة ومسعود ابن صالح والشافعي عن ابن كثير ومحمد بن عيسىٰ في اختياره ونصير والعبسي، وأبي بكر الصديق وابنته عائشة - رضي الله عنهما - وهي رواية الربيع بن أنس عن أم سلمة عن النبي -ﷺ- وقراءة وقاء بن إياس وابن =

٥٢- ﴿ليُحْبِطَنَّ عَملك﴾[١] (من أحبط الرباعي)[٢].

٥٣- ﴿حمُ﴾ [٣] (بالرفع)[٤].

٥٤- ﴿سبيل الرشَّاد﴾[٥] (بتشديد الشين)[٦].

٥٥- ﴿وإن يُسْتَعْتَبوا﴾[٧] (بالبناء للمفعول)[٨].

٥٦- ﴿يَزد له﴾[٩] (بالياء وبناء الفعل للفاعل)[١٠].

٥٧- ﴿جميعًا مَنُّه﴾[١١] (بفتح الميم وتشديد النون المضمومة وهاء الكناية)[١٢].

٥٨- ﴿ما يَفْعَل بي﴾ [١٣] (ببناء الفعل للفاعل) [١٤].

=أبي سريح وابن شاذان عن الكسائي وهي رواية المعدل عن ابن محيصن، ينظر: مختصر ابن خالويه ١٣١ وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤١١، والدر المصون ٦ / ٢١والبحر المحيط ٧/ ٤١٩.

١) من الآية ٦٥ من سورة الزمر.

٢) ينظر: إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤١٣، البحر المحيط ٧ / ٤٢١وروح المعاني ٢٤/ ٢٤.

٣) بداية سورة غافر.

٤) قراءة الزهري، ينظر الدر المصون ٦/ ٢٧، البحر المحيط ٧/ ٤٢٩، وقال أبو حيان:
«وقرئ بفتح الحاء اختيار أبي القاسم بن جبارة صاحب كتاب الكامل في القراءات.

٥) من الآية ٢٩ من سورة غافر.

٦) قراءة معاذ بن جبل والحسن، ينظر:
المحتسب ٢/ ٤٣١، البحر المحيط ٧/ ٤٤٣، الدر المصون ٦/ ٣٨، روح المعاني ٢٤/ ٦٥.

٧) من الآية ٢٤ من سورة فصلت.

٨) قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وموسىٰ الإسواري وأبي العالية وعبيد ابن عمير، ينظر: مختصر ابن خالويه ١٣٣، المحتسب ٢/ ٢٤٥، البحر المحيط ٧/ ٤٧٣، الدر المصون ٦/ ٦٤، روح المعاني ٢٤/ ١١٨.

٩) من الآية ٢٣ من سورة الشورىٰ.

١٠) قراءة زيد بن علي وعبد الوارث عن أبي عمرو وأحمد بن جبير عن الكسائي وابن السميفع وابن يعمر والجحدري، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٤٩٤، الدر المصون ٦/ ٨٠.

١١) من الآية ١٣ من سورة الجاثية.

١٢) قراءة مسلمة بن محارب وابن جبير، ينظر:
مختصر ابن خالويه ١٣٨، والمحتسب ٢/ ٢٦٢، البحر المحيط ٨/ ٤٥.

١٣) من الآية ٩ من سورة الأحقاف.

١٤) قراءة زيد بن علي وابن أبي عبلة، ينظر: =

٥٩- ﴿يوحِي﴾[١] (بكسر الحاء)[٢].

٦٠- ﴿يَتَقبَّلَ... ويَتجاوز﴾[٣] (بالبناء للفاعل وبالياء)[٤].

٦١- ﴿نَزَّل على محمد﴾[٥] (ببناء الفعل للفاعل)[٦].

٦٢- ﴿وذَكَر فيها القتالَ﴾[٧] (ببناء الفعل للفاعل)[٨].

٦٣- ﴿يَخْرَجُون﴾[٩] (بالبناء للمفعول)[١٠].

٦٤- ﴿سَيَهزِمُ الجمع﴾[١١] (بالبناء للفاعل)[١٢].

٦٥- ﴿إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر﴾[١٣] (برفع كل)[١٤].

= إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٧٤، البحر المحيط ٨/ ٥٨، روح المعاني ٢٦/ ١١.

(١) من الآية ٩ من سورة الأحقاف.

(٢) قراءة ابن عمير، ينظر الكشاف ٣/ ٥١٧، البحر المحيط ٨/ ٥٨.

(٣) من الآية ١٦ من سورة الأحقاف.

(٤) قراءة الحسن والأعمش وعيسىٰ بن عمر والمطوعي وأبي المتوكل وأبي رجاء وأبي عمران الجوني، ينظر: مختصر ابن خالويه ١٣٩، البحر المحيط ٨/ ٦١، الإتحاف ٢/ ٤٧١.

(٥) من الآية الأولىٰ من سورة محمد.

(٦) قراءة زيد وابن مقسم وابن مسعود، ينظر:
إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٨٤، البحر المحيط ٨/ ٧٤.

(٧) من الآية ٢٠ من سورة محمد.

(٨) قراءة زيد بن علي وابن عمير، ينظر:
البحر المحيط ٨ / ٨١والدر المصون ٦/ ١٥٣، وروح المعاني ٢٦/ ٦٦.

(٩) من الآية ٧ من سورة القمر.

(١٠) انظر الكامل ص١٠٨٦، ونسبها إلىٰ ابن مقسم.

(١١) من الآية ٤٥ من سورة القمر.

(١٢) قراءة أبي حيوة وابن أبي عبلة، وينظر:
الدر المصون ٦/ ٢٣١، البحر المحيط ٨/ ١٨١، وروح المعاني ٢٧/ ٩٣.

(١٣) الآية ٤٩ من سورة القمر.

(١٤) قراءة أبي السمال وجماعة من أهل السنة، ينظر:
البحر المحيط ٨/ ١٨١، وروح المعاني ٢٧/ ٩٤.

٦٦- ﴿ونُهُرٍ﴾[١] (بضم النون والهاء)[٢].

٦٧- ﴿رفارِف... وعباقر﴾[٣] (فعَائِل).

٦٨- ﴿خافضةً رافعةً﴾[٤] (بالنصب فيهما)[٥].

٦٩- ﴿فضَرب بينهم﴾[٦] (بالبناء للفاعل)[٧].

٧٠- ﴿ولا تَمَسَّكوا﴾[٨] (بفتح التاء والميم والسين المشدودة)[٩].

٧١- ﴿فَطبَع﴾[١٠] (بالبناء للفاعل)[١١].

٧٢- ﴿بكلمت﴾[١٢] (بالإفراد)[١٣].

---

١) من الآية ٥٤ من سورة القمر.

٢) قرادة زهير الفرقبىٰ والأعمش وأبي نهيك والأعرج وقتادة وأبي مجلز ومحمد بن السميفع اليماني وابن محيصن وأبي نهشل وطلحة بن مصرف، ينظر المحتسب ٢/ ٣٠٠، البحر المحيط ٨/ ١٨٢.

٣) من الآية ٧٦ من سورة الرحمن، وهذه قراءة النبي -ﷺ- وعثمان بن عفان ونصر بن عاصم، وعاصم الجحدري، ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير الفرقبي والحسن والجلد وأبي طعمة ونصر بن علي وابن مِقْسَم وشبل وأبي حيوة والزعفراني وأبي بكرة وابن محيصن ينظر: المحتسب ٢/ ٣٠٥، روح المعاني ٢٧/ ١٢٤.

٤) الآية ٣ من سورة الواقعة.

٥) قراءة زيد علي والحسن وعيسىٰ بن عمر الثقفي وأبي حيوة وابن عبلة مقسم والزعفراني وأبي موسىٰ الأشعرىٰ وأبي عمر الدوري عن اليزيد، وأبي اليزيدي، وأبي رزين وأبي وأبي عبد الرحمن وأبي العالية ينظر: المحتسب ٢/ ٣٠٧، البحر المحيط ٨/ ٢٠٣.

٦) من الآية ١٣ من سورة الحديد.

٧) قراءة زيد بن علي وعبيد بن عمير، ينظر الكشاف ٤/ ٦٣، البحر ٨/ ٢٢١، الدر المصون ٦/ ٢٧٦.

٨) من الآية ١٠ من سورة الممتحنة.

٩) قراءة الحسن وابن أبي ليلي وابن عامر في رواية عبد الحميد وأبي عمرو في رواية معاذ، وابن عباس وعكرمة وابن يعمر وأبي حيوة. ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٥٤، روح المعاني ٢٨/ ٧٨.

١٠) من الآية ٣ من سورة المنافقون.

١١) قراءة زيد بن علي، ينظر البحر المحيط ٨/ ٢٦٨، الدر المصون ٦/ ٣٢٠.

١٢) من الآية ١٢ من سورة التحريم.

١٣) قراءة الحسن وأبي العالية ومجاهد وأبي كعب والجحدري وأبي مجلد، ينظر: مختصر ابن خالويه=

٧٣- ﴿سبخًا طويلاً﴾[١] (بالخاء)[٢].

٧٤- ﴿يُخْرَجُ من بين الصلب والترائب﴾[٣] (بالبناء للمفعول)[٤].

ملاحظات على هذه القراءات:

١- قلة القراءات الشاذة التي اختارها الهذلي بالنسبة إلى مجموع القراءات المختارة في الكامل، علمًا بأن هذه القراءات لا تعد شاذة عنده وإلا لم يكن يختارها، فلقد قال أبو القاسم الهذلي: «وليس لأحد أن يقول لا تكثروا من الروايات، ويسمي ما لم يصل إليه من القراءات شاذًّا: لأن ما من قراءة قرئت ولا رواية رويت إلا وهي صحيحة، إذا واقفت رسم الإمام ولم تخالف الإجماع»[٥].

٢- موافقة رسم المصحف وفي ذلك بيان لعظم اهتمامه برسم المصحف، وقد مر الحديث عن ذلك.

٣- طريقة الهذلي في البناء للفاعل والمفعول أنه يضيف الفعل إلى الله تعالى، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

«وقد علمت طريقتنا في إضافة الفعل إلى الله تعالى، مهما أمكن أن يضاف إليه، لا تضيف إلى غيره»[٦].

وإذا كان الهذلي قد ضَمَّن كتابه الكامل خمسين قراءة، فإن هناك من الأئمة

= ١٥٩ وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٠١، البحر المحيط ٨/ ٢٩٠، روح المعاني ٢٨/ ١٦٥.

(١) من الآية ٧ من سورة المزمل.

(٢) قراءة يحيى بن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة وزبي عمران وأبي وائل والضحاك وعلى وابن مسعود، وينظر: مختصر ابن خالويه ١٦٤، الكشاف ٤/ ١٧٦، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥، الدر المصون ٦/ ٤٠٥.

(٣) الآية ٧ من سورة الطارق.

(٤) قراءة ابن أبي عبلة وابن مقسم وابن السميفع اليماني وعيسى بن عمر الثقفي، ينظر مختصر ابن خالويه ١٧١ وإعراب القراءات الشاذة ٢/ ٦٩٨، البحر المحيط ٨/ ٤٤٩.

(٥) النشر ١/ ٣٧.

(٦) الكامل ٨٥٧.

جاء بعده اكتفىٰ بعشرة، وزاع صيتُه، وسُمع صَوتُه واشتُهِرَ بين الناس، وهو الإمام ابن الجزري - رحمه الله تعالىٰ -.

فماذا كان موقفه من الهذلي - رحمه الله؟ هذا ما نتحدث عنه فيما يلي:

ثانيا: بعض اعتراضات ابن الجزري علىٰ الهذلي:

الناظر في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري يلاحظ كثرة اعتراضات ابن الجزري علىٰ الهذلي ومن ذلك ما يلي:

- الاعتراض الأول.

ذكر ابن الجزري في باب الإدغام طرق أبي عمرو في الإدغام ثم قال:

«وبقيت طريق رابعة وهي الإدغام مع الهمز، ممنوع منها عند أئمة القراءة لم يجزها أحد من المحققين، وقد انفرد بذكرها الهذلي في كامله فقال وربما همز وأدغم المتحرك، هكذا قرأنا علىٰ ابن هاشم الأنطاكي علىٰ ابن بدهن علىٰ ابن مجاهد علىٰ أبىٰ الزعراء علىٰ الدوري.

قلت: (والكلام لابن الجزري) كذا ذكره الهذلي وهو وهم عنه عن ابن هاشم المذكور عن هذا الأنطاكي لأن ابن هاشم المذكور هو أحمد بن علي بن هاشم المصري يعرف بتاج الأئمة أستاذ مشهور ضابط قرأ عليه وأخذ عنه غير واحد من الأئمة كالأستاذ أبي عمرو الطلمنكي وأبي عبد الله ابن شريح وأبي القاسم بن الفحام وغيرهم ولم يحكِ أحد منهم ما حكاه الهذلي ولا ذكره ألبته، وشيخه الأنطاكي وهو الحسن بن سليمان أستاذ ماهر حافظ أخذ عنه غير واحد من الأئمة كأبي عمرو الداني وموسي بن الحسين المعدل الشريف صاحب الروضة ومحمد بن أحمد بن علي القرويني وغيرهم، ولم يذكر أحد منهم ذلك عنه، وشيخه ابن بدهن هو أبو الفتح أحمد بن عبد العزيز البغدادي إمام متقن مشهور أحذق أصحاب ابن مجاهد، أخذ عنه غير واحد من الأئمة كأبي الطيب عبد المنعم بن غلبون وابنه أبي الحسن طاهر وعبيدالله بن عمرو القيسي وغيرهم، لم يروِ أحد منهم ذلك عنه، وشيخه ابن مجاهد

شيخ الصنعة، وإمام السبعة، نقل عنه خلق لا يُحْصَون، ولم ينقل ذلك أحد عنه.... وقد قصد بعض المتأخرين التعريب فذكر معتمدا على ما ذكره الهذلي»[١] اهـ.

رد الاعتراض:

وبالرجوع إلىٰ كتاب الكامل للهذلي وجدته يقول:

«كان أبو عمرو إذا تهجد أو أدرج القراءة أدغم وترك الهمز وربما ترك الهمز ولم يدغم المتحرك هكذا قرأنا علىٰ هاشم، علىٰ الأنطاكي، علىٰ ابن بدهن، علىٰ ابن مجاهد علىٰ أبي الزعراء، علىٰ أبي عمرو وربما همز ولم يدغم المتحرك.

فحاصل أصحاب أبي عمرو كلهم علىٰ أربعة طرق.

الإدغام وترك الهمز، والإدغام والهمز، وترك الإدغام والرابع الهمز في غير إدغام.... والأصل في هذه الجملة أن ما كان همزه أخف من تركه، أو فيه خروج من لغة إلىٰ لغة أو من معنىٰ إلىٰ معنىٰ، أو علامة للجزم، أو البناء، فإنه يهمزه»[٢].

فحقيقة الاعتراض، ليست في إدغام الهمز، لأن هذا غير جائز عند جميع الأئمة ومنهم الهذلي، فقد ذكر مالا يدغم في غيره ولا يدغم فيه وهي أربعة أحرف الغين والخاء والهمزة والألف وحكم الواو والياء إذا سكنتا، وأما الاعتراض في مثل نؤمن لك[٣]، بإدغام النون في اللام مع الهمز، وكلام الهذلي - هنا، حيث بين أن هذه القراءة لأبي عمرو - مع ثبوتها وصحتها - غير ملزمة للقارئ بل هو في سعة من أمره، فأمامه أكثر من رواية صحيحة، إن كان الهمز أخف عنده، أو أن لغته الهمز أو للهمز سبب فإنه يهمز، هكذا يصنع أبو عمرو.

ثم إن ابن الجزري نفسه ذكر[٤] أن القاضي أبا العلاء محمد بن يعقوب الواسطي قرأ أيضًا بالإدغام الكبير مع الهمز عن شيخه أبي القاسم عبدالله بن

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٧٧٣/ ١، ٢٧٨.

(٢) الكامل ٣٧٥، ٣٧٦.

(٣) من الآية ٥٥ من سورة البقرة.

(٤) النشر ١/ ٢٧٨.

اليسع الأنطاكي عن قراءته علىٰ الحسين بن إبراهيم بن أبي عجرم الأنطاكي عن قراءته علىٰ أحمد بن جبير عن اليزيدي.

كما ذكر أيضًا أن ابن الباذش صاحب الإقناع حكي عن شيخه شريح بن محمد الهمز مع الإدغام.

قلت: وهذا يدل علىٰ أن الهذلي لم ينفرد بذكر هذه القراءة بل ذكرها غيره فوجب تصديقه في قراءته علىٰ ابن هاشم ذلك، إذ الإثبات أولىٰ من النفي، ولا سيما إذا كان الإثبات من الأثبات الثقات أمثال الهذلي.

الاعتراض الثاني:

في قوله: أرجه وأخاه[1].

يقول ابن الجزري:

وانفرد عنه أبو الحسين الخبازي فيما ذكره الهذلي بالإشباع يعني مع الهمز وأحسبه وهماً، فإني لا أعلم أحدًا قرأ به»[2].

الرد عليه:

ذكر الهذلي «أرجه» في كتاب الهمز فقال: «والباقون بكسر الهاء من غير همز، اختلس هاهنا: مدني غير ورش وإسماعيل الأنباري عن أبي نشيط طريق ابن الصلت... الباقون: يصلونها بياء وهو الاختيار لأنه أفصح»[3].

ثم قال: «قال أبو الحسين: ابن مجاهد وابن موسىٰ والأخفش غير ابن الأخرم، وابن مهران والعراقي بالهمز وإشباع الكسرة»[4].

ومن هنا نعلم أن اختيار الهذلي هو إشباع كسرة الهاء حتىٰ يتولد منها ياء من غير همز، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي ذكر هذا الوجه عن أبي الحسين الخبازي إلىٰ

---

(١) في الموضعين (الأعراف ١١١، الشعراء ٣٦).

(٢) النشر ١/ ٣١١، ٣١٢.

(٣) الكامل ٤٣٥.

(٤) المرجع السابق نفسه.

خمسة من الأئمة.

وهذه القراءة (أرجئهي) بالهمز وكسر الهاء وإشباعها نسبت إلىٰ ابن ذكوان وابن عامر في رواية هشام بن عمار، وهي شاذة[١].

الاعتراض الثالث:

وهو مبالغة الهذلي في تقرير مد المتصل أدىٰ إلىٰ شبهة جواز قصر المتصل حيث قال ابن الجزري:

«فأما المتصل فاتفق أئمة أهل الأداء من أهل العراق إلا القليل منهم، وكثير من المغاربة علىٰ مده قدرًا واحدًا مشبعاً من غير إفحاش ولا خروج عن منهاج العربية نص علىٰ ذلك أبو الفتح ابن شيطا وأبو طاهر بن سوار وأبو العز القلانسي وأبو محمد سبط الخياط وأبو علي البغدادي وأبو معشر الطبري وأبو محمد مكي ابن أبي طالب وأبو العباس المهدوىٰ والحافظ أبو العلاء الهمذاني وغيرهم، حتىٰ بالغ أبو القاسم الهذلي في تقرير ذلك ردًا علىٰ أبي نصر العراقي حيث ذكر تفاوت المراتب في مدة فقال ما نصه:

وقد ذكر العراقي أن الاختلاف في مد كلمة واحدة كالاختلاف في مد كلمتين، قال ولم أسمع هذا لغيره وطال ما مارست الكتب والعلماء، فلم أجد أحدًا يجعل مد الكلمة الواحدة كمد الكلمتين إلا العراقي، بل فصلوا بينهما. انتهي.

يقول ابن الجزري: ولما وقف ابن شامة - رحمه الله - علىٰ كلام الهذلي - رحمه الله - ظن أن في المتصل قصرًا فقال في شرحه:

ومنهم من أجرىٰ فيه الخلاف المذكور في كلمتين ثم نقل ذلك عن حكاية الهذلي عن العراقى»[٢].

---

(١) ينظر معاني الزجاج ٢/ ٣٦٥، البحر المحيط ٤/ ٣٥٩.

(٢) النشر ١/ ٣١٥.

الرد على ذلك:

ذكر الهذلي[١] في بداية حديثه عن المد أن المد من كلمة مثل جاء وشاء.... وشبه ذلك لم يختلف أحد في هذا أنه ممدود على وتيرة واحدة، فالقراء فيه على خط واحد، وقدره ثلاث ألفات... ثم ذكر اختلافهم فيمن زاد على ذلك مثل ورش والزيات طريق أبي أيوب.... بمقدار خمس ألفات وقال ابن هاشم بمقدار أربع... ثم ذكر ما حكاه ابن الجزري آنفًا.

والهذلي لم يقصد أن حكم المد المتصل كحكم المد المنفصل، ولم يذكر العراقي ذلك وإنما ذكر التفاوت في مده فقط والله أعلم.

وغير ذلك من الاعتراضات التي أوردها ابن الجزري في كتاب النشر[٢] والحق أن ابن الجزري قد اعتمد على كتاب الكامل للهذلي اعتمادًا كبيرًا وقد التمس له العذر في كثير من هذه المسائل فقال:

«وهو معذور في ذلك؛ لأنه ذكر ما لم يذكره غيره»[٣].

ثالثًا: لهجة قريش في ميزان الهذلي:

اهتم أبو القاسم الهذلي بلهجة قريش أكثر من غيرها من اللهجات حيث جعلها – غالبًا – مقياسًا وأساسًا اعتمد عليه في اختيارات القراءات فذكرها في كتابة اثنتي عشرة مرة وهي كما يلي:

١ – الهدى[٤] (بالتخفيف) (البقرة/ ١٩٦)

٢ – يحسبهم (بكسر السين) (البقرة/ ٢٧٣)

---

(١) ينظر الكامل ٥١، ٥٢.

(٢) ينظر: مثلاً – النشر ٢/ ١١، ٢/ ٣٢٣، ينظر الكامل ٤٤٢.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٤٠٠.

(٤) ذكرها مرة أخرى في سورة الفتح من الآية ٢٥.

٣- رضوان (بكسر الراء) (آل عمران/ ١٥).

٤- بِالبُخْل (بضم الباء وإسكان الخاء) (النساء/ ٣٧).

٥-يضاهون (بترك الهمز) (التوبة/ ٥٨).

٦- يلمِزك (بكسر الميم) (التوبة/ ٥٨).

٧- غِلظة (بكسر الغين) (التوبة/ ١٢٣).

٨- رُبَّما (بالتشديد) (الحجر/ ٢).

٩- حَزَنًا (بفتح الحاء والزاي) (القصص/ ٨).

١٠- فَواق (بفتح الفاء) (ص/ ١٥).

١١- الـهَدْى (بتخفيف الدال) (الفتح/ ٢٥).

١٢- الرِجز (بكسر الراء) (المدثر/ ٥).

ويلاحظ ما يلي:

أولاً: كثرة الاستدلال بلهجة قريش في اخياراته.

ثانيًا: عدم التحيز إلى لهجة قبيلته هذيل، وذلك دليل على أن القراءة لا تدل على لهجة القارئ، فربما كان القارئ حجازيًا وقرأ بلهجة قريش كما ذكر الهذلي[1] في قوله «غِلظة» بكسر الغين قال: «وهو الاختيار؛ لموافقة أهل الحجاز[2]، وهي لغة قريش ومن هنا نعلم أن القراءة سنة متبعة والأصل فيها الرواية الصحيحة كما حكي ابن الجزري قول الداني - رحمهما الله:

«وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن علىٰ الأفشىٰ في اللغة والأفيس في العربية بل علىٰ الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت

---

(١) الكامل ص ٨٦٦.

(٢) المراد بأهل الحجاز هم أبو جعفر وشيبة ونافع والمسيبي وورش ومجاهد وابن كثير وابن محيصن والأعرج وشبل وابن مقسم، وهؤلاء هم المدنيون المكيون معًا.

عنهم لم يَرُدَّها قياسُ عَرَبيةٍ ولا فُشوُّ لُغَةٍ؛ لأن القراءة سنةٌ متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»[١].

وأما قول الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله:

«وإذا كان معظم القراء قد تأثروا بلهجة بيئتهم، فإن قلة منهم قد تأثروا بأساتذتهم في بيئات أخرىٰ، وأجمعوا بين هذه وتلك فيما انتهجوه من قراءات»[٢].

فليس معناه أن البيئة هي التي وَلَّدت القراءة - كما يفهمه البعض - حاشَ لله، ولكن معناه أن القارئ قد يختار من جملة القراءات ما يكون موافقًا للهجته، وهذا كثير عند الدكتور إبراهيم أنيس، ولكنني أخالفه في هذا؛ لأن كل إنسان يتأثر بلهجة بيئته، والقراء جميعًا منهم، وهذه زاوية أخرىٰ تختلف عن القراءة التي أساسها الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ بصرف النظر عن كونها توافق اللهجة أو تخالفها، والله أعلم.

رابعًا: اختيارات الهذلي في ميزان اللغة:

ذكر الهذلي في كتابه الكامل أنه لم يضع هذا الكتاب للعلل وإنما هو للأسانيد والروايات كما قال: «لم نضع هذا الكتاب للتطويل، ألا ترىٰ أنا لم نذكر فيه العلل والشرح والشواذ، وإنما جعلناه ليستبصر به المتعلم، ويستذكر به العالم»[٣] ومع هذا وجدنا الهذلي يهتم كثيرًا بمستويات اللغة جميعها من إعراب وتركيب وأصوات ودلالة من خلال رؤيتنا لحجم الكتاب وعدد القراء فيه، وما فيه من قراءات كثيرة وروايات عديدة، واختياراته التي لم تخرج عن السبعة غالبًا، فإن خرجت عنها فإنها في الثلاثة المتممة للعشرة، وإلا فإنها شاذة عن العشرة ولكنها

---

(١) النشر ١/ ١٠، ١١.

(٢) في اللهجات العربية ص٦٢، ٦٣، مكتبة الأنجلو المصرية ط/ التاسعة ١٩٩٥ م.

(٣) الكامل ص٢١.

موافقة لرسم المصحف وموافقه للغة ولها سند صحيح عنده وإن لم يصح عند غيره كابن الجزري مثلاً[١].

ومما يرفع من قدر اختياراته اهتمامه الشديد بشهرة القراءة وموافقتها للغة[٢].

وجانب الدراسة الصوتية له قدره العظيم عند الهذلي يبدو ذلك جليًّا من خلال تعليلاته وتعليقاته القيمة علي اختياراته فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وجمعنا وإياه مع النبي المختار، سيدنا محمد - ﷺ، في دار القرار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) ينظر غاية النهاية ٢/ ٤٠١.

(٢) ينظر الكامل ص٤٢٧، ٦٠٤.

الخاتمة

ونسأل الله ـ تعالى ـ حسنها

والآن - وقبل أن أضع القلم - أحمد الله تعالىٰ علىٰ ما وفق، وأشكره سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما منح وهيأ، فقد عشت هذه الفترة في واحة القرآن الكريم، وقراءاته.

وهذه رحلتي مع موضوع الاختيار في القراءات القرآنية - وقد بلغ الكتاب أجله ووصلت السفينة إلىٰ بر الأمان بعد هذه السفرة في هذا البحر اللجي.

فما نهاية المطاف، ولأي شيء أوصلتني هذه الدراسة.

أهم نتائج البحث:

أولاً: أن الأصل في الاختيار صحة السند، وليس لهجة القبيلة.

ثانيا: أن حَدّ الاختيار في باب القراءة هو انتقاء القارئ حروفًا معينة لعلة ما من جملة قراءات بشرط أن يكون أهلاً للاختيار، وألا يختار حروفًا متنافرة تؤدي إلىٰ عدم التناسب، وألا يلزم الناس باختياره، وألا يحط من قدر غيره في الاختيار.

وأن يكون اختياره ضمن القراءات المروية.

وأما الانفراد فهو التزام بقراءة معينة، مع اختيار بعض الحروف الأخرىٰ من قراءات غيرها، مثل ما انفرد به بعض الرواة عن شيوخهم، وما أطلق عليه اختيار من هذا القبيل فهو من قبيل المجاز أو اللغة.

ثالثًا: أن الاختيار في القراءات نشأ منذ عهد الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - ويعد عمل سيدنا عثمان - رضي الله عنه - باكورة الاختيار الحقيقي.

رابعًا: يعد كتاب الكامل أكبر كتاب في القراءات والروايات لأنه جمع فيه صاحبه خمسين قراءة، كما يعد اختيار الهذلي من أهم الاختيارات القرائية، لأنه كلما كثرت القراءات، صعب الاختيار، فكما قيل:

قَـــدْ عَرْفنَـــاك بِاخْتِيـــارِكَ إذْ كَـــا
نَ دَلِـــيلاً عَـــلىٰ اللَّبِيـــبِ اخْتِيـــارُهْ

وكما قالوا: (عقـول النـاس مدونـة في أطـراف أقلامهـم، وظـاهرة في حـسن اختيارهم).

خامسًا: أثبت البحث عكس ما يتوهمه بعض الباحثين من كثيرة القراءات الـشاذة في اختيارات الهذلي، حيث بلغ نسبة القراءات المتـواترة في الاختيـارات الهذليـة ٩٦ ٪ تقريبًا، أي أن نسبة القراءات الشاذة في اختياراته لا تتجاوز ٤ ٪ فقط.

سادسًا: عدم الجزم بنزول الأحرف السبعة بالمدينة بمعنىٰ خلو القرآن المكـي مـن القراءات القرآنية، فهذا القول فيه حكم بظن؛ لاحتمال وجود قراءات قرآنيـة أنزلـت في العهد المكي، لنزول أكثر القرآن في مكة، وحاجة الـدعوة إلىٰ عـدد مـن القـراءات، وإن كانت الحاجة أشد في المدينة المنورة.

وقد ذكرت ما يؤكد هذا في ثنايا البحث.

وأخيرًا: أقترح علىٰ الباحثين دراسة موضـوع الاختيـار في القـراءات القرآنيـة دراسة متأنية تشمل جوانبه التاريخية واللغوية والمنهجيـة ودراسـة علـل الاختيـار عند أرباب الاختيارات، وبيان الفروق الأساسية بين اختيارات القراء.

وفي النهاية: لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلىٰ كل من أسـهم في هذا البحث، وأدعو الله رب العالمين أن يتقبل منا هذا العمل وأن يغفر لي ما فيـه من زلل، وأن يعاملنا بالفضل لا بالعدل، وبالإحسان لا بالميزان.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

خادم القرآن والتجويد

دكتور/ نصر سعيد

أهم المصادر والمراجع

أولاً: أشرف الكتب:

١ - القرآن الكريم[١].

٢ - كتب الحديث النبوي الشريف مثل:

- صحيح البخاري: ط/ الشعب، مراجعة الشيخ محمد علي القطب، وهشام البخاري.

- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

- سنن أبي داود: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت بدون تاريخ.

- سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه/ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسىٰ الحلبي، بدون تاريخ.

- سنن الترمذي: تحقيق: إبراهيم عطوة عوض مطبعة: مصطفىٰ البابي الحلبي ط/ الأولىٰ ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣م.

ثانيا: المخطوطات:

١ - التقريب والبيان للصفراوي - رسالة دكتوراه/ لأحسن سخاء بن محمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومنها نسخة مصورة بكلية القرآن الكريم بطنطا، تحت رقم (١٠) / قراءات.

٢ - الكامل/ لأبي القاسم الهذلي، مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٠٠) نسخت عام ٥١٤ هـ، ورقمها بمركز البحث العلمي ١٣٤ / قراءات، فهرس

---

(١) برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، وأرقام الآيات فيه علىٰ عَدّ الكوفيين.

البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج١، ق٢، ص٢١٧ .

- ومنها نسخة بكلية القرآن الكريم، مصورة عن النسخة الأصلية، كما أن هناك نسخة مصححة بخط واضح، كتبها فضيلة الدكتور محمد خاطر، وهي الآن تحت الطبع، وعليها الاعتماد في هذا البحث، مع مراجعة الأصل.

ثالثًا: من أهم المصادر والمراجع:

١ - **الإبانة عن معاني القراءات**: لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق: د. عبد الفتاح شلبي، المكتبة الفيصلية، ط/ الثالثة ١٤٠٥ هـ.

٢ - **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**: لعبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة (ت ٦٦٥ هـ) تحقيق: محمود بن عبد الخالق محمد جادو ط/ ١٤١٣ هـ.

٣ - **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**: لأحمد بن عبد الغني الدمياطي (ت ١١١٧ هـ) تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.

٤ - **الإتقان في علوم القرآن**: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط/ الثالثة ١٤٠٥ هـ.

٥ - **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية**: مصطفىٰ أبو ضيف أحمد، مطبعة دار النشر المغربية، ط/ الأولىٰ ١٩٨٣ .

٦ - **الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات**: للدكتور فتحي بن الطيب خماس دار المعرفة، ط/ الأولىٰ ١٤١٥ هـ = ١٩٩٠ م.

٧ - **الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها**: للدكتور حسن ضياء الدين عتر دار البشائر الإسلامية، ط/ الأولىٰ ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م.

٨ - **الاختيار في القراءات** - منشؤه ومشروعيته، وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة: للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جامعة أم القرىٰ - مكة المكرمة ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م.

٩ - **إعراب القرآن**: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) وضع حواشيه، وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط/ الأولىٰ ١٤٠٢ هـ = ٢٠٠١ م.

١٠ - **إعراب القراءات السبع وعللها**: لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق: د.عبد الرحمن العثيمين، دار الخانجي بمصر، ط/ الأولىٰ ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م.

١١ - **إعراب القراءات الشواذ**: للعكبري (ت ٦١٦ هـ) تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط/ الأولىٰ ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م.

١٢ - **إعجاز القراءات القرآنية**: صبري الأشوح، مكتبة وهبة، ط/ الأولىٰ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

١٣ - **إكمال الإعلام**: لابن الجياني (ت ٦٧٢ هـ) دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

١٤ - **بغية الوعاة**: للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الأولىٰ ١٩٦٥ م.

١٥ - **البيان والتبيين**: للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط/ الثانية، ط.د.ت.

١٦ - **تاريخ الأدب**: للأستاذ حفني ناصف - دار القلم - بيروت، ط/ الثانية ١٩٥٨ م.

١٧ - **تاريخ القرآن**: د. عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م.

١٨ - **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه**: لمحمد بن طاهر بن عبد القادر الكردي، مطبعة مصطفىٰ الحلبي، ط/ الثانية بدون تاريخ.

١٩ - **التاريخ الكبير**: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) طبع المكتب الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

٢٠ - **تاريخ المغرب العربي** - سعد زغلول - الإسكندرية ١٩٦٤ م.

٢١ - **تاريخ مشكل القرآن**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ تحقيق: سيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط/ الثانية ١٣٩٣ هـ.

٢٢ - **التبصرة في القراءات السبع**: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محم غوث الندوي، نشر الدار السلفية، الهند، ط/ الثانية ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

٢٣ - **التبيان في إعراب القرآن**: للعكبري (ت ٦١٦ هـ) وضع حواشيه محم حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ط/ الأولىٰ ١٤١٩ هـ.

٢٤ - **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**: للشيخ طاهر الجزائري، اعتنىٰ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب - سوريا، ط/ الرابعة.

٢٥ - **التجويد والأصوات**: للدكتور إبراهيم نجا، ط/ السعادة، ط.د.ت.

٢٦ - **التذكرة في القراءات الثمانِ**: طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تحقي د.سعيد زعيمة، دار ابن خلدون، ط/ الأولىٰ ٢٠٠٠ م.

٢٧ - **تفسير البحر المحيط**: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تحقيق الش عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط/ الأ ١٤١٣ هـ.

٢٨ - **تفسير الشعراوي**: مطابع أخبار اليوم التجارية.

٢٩ - **التيسير**: لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه أوتويرتزل، دار الك

العلمية، بيروت، ط.د.ت.

٣٠ - **جامع البيان للطبري** (ت ٣١٠ هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط/ الثانية بدون تاريخ.

٣١ - **جمال القراء وكمال الإقراء**: للسخاوي، تحقيق: علي حسين البواب، نشر مكتبة الخانجي، ط/ الأولىٰ ١٩٨٧ م.

٣٢ - **الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم**: لبيب السعيد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

٣٣ - **الحجة في علل القراءات السبع**: لأبي علي الفارسي، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.

٣٤ - **الحجة في القراءات السبع**: لابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، طبع دار الشروق، بيروت، ط/ الثانية ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.

٣٥ - **حجة القراءات**: لأبي زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، موسسة الرسالة، بيروت، ط/ الخامسة ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.

٣٦ - **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، المعروف بمتن الشاطبية: للإمام الشاطبي، مراجعة علي محمد الضباع، ط/ مصطفىٰ الحلبي.

٣٧ - **حق التلاوة**: للشيخ حسني عثمان، دار المنارة بجدة، ط/ العاشرة ١٩٩٤ م.

٣٨ - **الخصائص**: لأبي الفتح عثمان بن حنىٰ، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، ط/ الثالثة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.

٣٩ - **ديوان الإمام الشافعي**: تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ط.د.ت.

٤٠ - **رجال حول الرسول**: للأستاذ خالد محمد خالد، دار المقطم، ط/ الأولىٰ

الأولىٰ ١٩٩٤ م.

٤١ - **الرحيق المختوم**: للمباركفوري، المكتب الجامعي للحديث.

٤٢ - **روح المعاني**: للآلوسي، ط/ دار التراث، ط.د.ت.

٤٣ - **روضات الجنات في ما انفرد به ثلاثة الدرة من القراءات**: للشيخ محمد علي بِسَّه.

٤٤ - **زينة الأداء شرح حلية القراء**: للشيخ سعيد بن أحمد العنبتاوي، شرح محمود أحمد مروح مصطفىٰ، دار الفرقان، ط/ الأولىٰ ١٩٩٩ م.

٤٥ - **السبعة**: لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، نشر دار المعارف ١٤٠٠هـ.

٤٦ - **سير أعلام النبلاء**: للذهبي، مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية ١٤٠٢ هـ.

٤٧ - **السيرة النبوية**: لابن هشام، تحقيق: الشيخ محمد بيومي، الناشر: مكتبة الإيمان، ط/ الأولىٰ ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م.

٤٨ - **شرح طيبة النشر**: للنويري، تحقيق: عبد الفتاح أبي سنة، ط/ ١٩٨٦ م.

٤٩ - **الطبقات الكبرىٰ**: لابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط/ الأولىٰ ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م.

٥٠ - **العين**: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، ط/ الأولىٰ ١٤٠٨ هـ = ١٩٩٨ م.

٥١ - **غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار**: للهمداني (ت ٦٩ هـ)، تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد، نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ط ١٩٩٤ م.

٥٢ - **الغاية في القراءات العشر**: لابن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١ هـ) تحقيق

محمد غياث، دار الشواف بالرياض، ط/ الثانية ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م.

٥٣ - **غاية النهاية في طبقات القراء**: لابن الجزري، عني بنشره: ج برجشتراسر، دار الكتب العلمية - بيروت - ط/ الثالثة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

٥٤ - **فتوح البلدان**: للبلاذري، القاهرة ١٩٣٢ م.

٥٥ - **فتوح مصر والمغرب**: لابن عبد الحكم، طبع سنة ١٩٦١ م بالقاهرة.

٥٦ - **القراءات - أحكامها - ومصادرها**: د. شعبان محمد إسماعيل، دار السلام بالقاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.

٥٧ - **القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب**: للشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

٥٨ - **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**: د. محمود أحمد الصغير، دار الفكر المعاصر، ط/ الأولىٰ ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م.

٥٩ - **قراءات القراء المعروفين بروايت الرواة المشهورين**: للأنذرابي، تحقيق: د. أحمد نصيف، مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة ١٩٨٦م.

٦٠ - **القراءات القرآنية - تاريخها - ثبوتها - حجيتها - أحكامها**: لعبد الحليم ابن محمد الهادي قابة، دار غريب الإسلامية، ط/ الأولىٰ ١٩٩٩ م.

٦١ - **القول الأصدق في بيان ما خالف فيه الأصبهاني الأزرق**: للشيخ الضباع، ط/ مصطفىٰ البابي الحلبي، بدون تاريخ.

٦٢ - **كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**: مكي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، نشر مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية ١٩٨١م.

٦٣ - **المحتسب**: لابن جني، المجلس الأعلىٰ للشؤن الإسلامية، ١٩٩٤ م.

٦٤ - **معجم القراءات**: للدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الأولىٰ ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م.

٦٥ - **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء**: للدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ط/ الثالثة ١٩٩٧م.

٦٦ - **النشر في القراءات العشر**: لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) تصحيح: علي محمد الضباع، دار الفكر، بدون تاريخ.

٦٧ - **وثاقة نقل النص القراني من رسول الله ﷺ إلىٰ أمته**: للدكتور محمد حسن جبل، دار الصحابة للتراث ٢٠٠١ م.

* * *

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول معنى الاختيار في باب القراءة	٧
مادة (خ. ي. ر) في القرآن الكريم	٧
معنى الاختيار في اللغة	١٠
الفرق بين الاختيار والانتقاء	١١
الفرق بين الاختيار والاصطفاء	١٢
الفرق بين الاختيار والإرادة	١٤
الفرق بين الاختيار والإيثار	١٤
معنى الاختيار في باب القراءة	١٤
الفرق بين القراءة والاختيار	١٥
الفرق بين الاختيارات والانفرادات	١٦
التوسع في إطلاق الاختيار	١٧
الفصل الثاني نشأة الاختيار	٢١
القراءات في العهد المكي وعلاقتها بالدعوة	٢٧
أول مدرسة للقرآن في الإسلام	٢٨
أول من جهر بالقرآن	٢٨
القبائل التي عرض عليها الإسلام في العهد المكي	٢٩
وفود نجران	٢٩
المؤمنون من غير أهل مكة	٢٩
سفير الإسلام في المدينة المقرئ مصعب بن عمير	٣٠
القراءات في العهد المدني	٣٣

الموضوع	الصفحة
الاختيار والأحرف السبعة	٣٥
رأي ابن قُتيبة وجماعة (أنها سبعة أوجه)	٣٨
رأي أبي القاسم الهذلي	٤٠
توضيح رأي الهذلي	٤١
رأي الباحث في الأحرف السبعة	٤١
ثانيا القراءة في عهد الخلفاء الراشدين	٤٧
١ - في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه	٤٧
٢ - في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٠
اختيار سيدنا عمر بن الخطاب	٥١
رأي سيدنا عمر بن الخطاب في اختيار أبي بن كعب	٥١
٣ - في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه	٥٢
٤ - كان منهج عثمان في كتابة المصحف قائمًا على ما يلي	٥٣
مصحف سيدنا عثمان وعلاقته بالاختيار	٥٣
في عهد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه	٥٧
ثالثًا القراءة بعد عصر الخلفاء الراشدين	٥٨
الاختيار وأثره في القراءات	٦٠
الفصل الثالث شروط الاختيار	٦٢
أولاً ما يشترط في صاحب الاختيار شرط واحد وهو	٦٢
ثانيا ما يشترط في القراءة المختارة ما يلي	٦٢
الفصل الرابع أبو القاسم الهذلي	٦٥
حياته ونشأته	٦٥
اسمه ونسبه	٦٥
نشأته وتكوينه العلمي	٦٧
شيوخه ورحلاته العلمية	٦٧

الـمـوضوع الصفحة

منزلته العلمية ٦٩
تلاميذه ٧٠
آثاره العلمية ٧٠
وفاته ٧١
الفصل الخامس كتاب الكامل موضوعه وأهميته ٧٢
ومصادره ومنهجه ٧٢
موضوعه ٧٢
قيمة الكتاب وأهميته ٧٣
مصادر الكامل ٧٤
منهج الهذلي في كتاب الكامل ٧٧
منهجه في عرض القراءات ٧٧
بعض ما يؤخذ على كتاب الكامل ٧٨
الفصل السادس معايير الهذلي في اختيار القراءات ٨٠
١ - اتفاق أكثر القراء وشهرة القراءة ٨٠
٢ - موافقة القراءة لأفصح اللغات ٨٠
٣ - موافقة القراءة للمصحف العثماني ٨١
٤ - استحسان القراءات لغويا ٨١
٥ - موافقة القراء للمعنى والحديث ٨١
٦ - كثرة دوران القراءة في القرآن الكريم ٨٢
الفصل السابع قبيلة هذيل وعلاقتها بأبي القاسم ٨٣
فصاحة هذيل ٨٤
أبو القاسم وعلاقته بقبيلة هذيل ٨٥
الفصل الثامن بعض الظواهر الصوتية لهذيل وقياسها على اختيارات الهذلي ٨٦

الصفحة — الموضوع

١- فحفحة هذيل ٨٦
٢- الاستنطاء ٨٦
٣- نِعِم (بكسر العين) ٨٧
٤- قُول وبُوع في قيل وبيع ٨٨
٥- فصرِهن بكسر الصاد ٨٨
٦- الميل إلىٰ كسر أوائل بعض الأسماء ٨٩
الفصل التاسع موازنة بين اختيارات أبي عبيد وأبي حاتم والهذلي ٩١
بيان واستنتاج ٩٦
الفصل العاشر اختيارات الهذلي في الميزان ١٠١
ملاحظات علىٰ هذه القراءات ١١٢
ثانيا بعض اعتراضات ابن الجزري علىٰ الهذلي ١١٣
الاعتراض الأول ١١٣
رد الاعتراض ١١٤
الاعتراض الثاني ١١٥
الرد عليه ١١٥
الاعتراض الثالث ١١٦
الرد على ذلك ١١٧
ثالثًا لهجة قريش في ميزان الهذلي ١١٧
رابعًا اختيارات الهذلي في ميزان اللغة ١١٩
الخاتمة ١٢١
فهرس المصادر والمراجع ١٢٣
فهرس الموضوعات ١٣١

* * *